دراسة بلاغية
لأحاديث كتاب الأدب من
كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

أ.د/ نادية خميس الحناوى

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علمه البيان، أحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمرنا أن ندعوه بقوله: **{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}**، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وعلى آله وصحبه والتابعين. **وبعد ....،**

فإن السنة هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى وذلك بنص القرآن الكريم قال تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}**[1] وقوله: **{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ}**[2]

وقوله ﷻ: **{وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ}**[3]

وقد فسر المفسرون الحكمة فىَ الآية السابقة بالسنة،وهى مقرونة مع كتاب الله فهى أصل فى الدين، والغرض السامى للحديث النبوى والسنة المطهرة بيان للقرآن الكريم، قال تعالى: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}**[4]

والقرآن الكريم ملئ بالتشريعات المجملة والأحكام غير المفصلة فيه أمور البعث، وعقائد المسلمين وعدد ركعات أوقات الصلاة، ونصاب الزكاة، والمعاملة بين المسلمين، وتهذيب أخلاقهم، وتقويم سلوكهم، وكل أمورهم فى دنياهم وأخراهم متروك لبيانه، والحديث الشريف تفصيل لما أنزل مجملاً فى القرآن، وتوضيح لما أبهم فيه، وبيان لما تشابه منه.

ولقد تميزت الأحاديث الشريفة والآداب النبوية بخصائص الفصاحة وأسمى مراتب البيان، فقد جمع ﷺ من الإيجاز وإصابته المعنى ما كان له وقعه فى النفوس، وتأثيره

(١) سورة الحشر آية ٧
(٢) سورة النساء آية ٨٠
(٣) سورة البقرة آية ٣١
(٤) سورة النحل آية ٤٤

فى القلوب، وقد خرج كلامه عن وحى صادق، وإلهام صائب فضرب أروع مثل فى الفصاحة والبيان، وكان نموذجاً من البيان الرائع والأدب الرفيع.

أما الآداب النبوية فقد انبعثت من فطرة سليمة وروح عالية،غرسها الحكيم العليم فى قلبه –ﷺ– فانبعثت ثمارها، فله ضروب الفصاحة المطلقة.

وقد شغف علماء البلاغة بالبيان النبوى منذ عهد قديم، تجمعوا حوله ليقفوا على دلائل فصاحته، وآيات بلاغته بوصفه النبراس المقتدى به، فتناولوه بالعناية والاهتمام، وتدارسوه وقاموا على خدمته خير قيام، ولا يزال البلاغيون يولون وجوههم شطره تذوقاً وتحليلاً ودرساً.

ولقد دفعتنى رغبة عارمة إلى دراسة فى السنة النبوية الشريفة لنقف على جانب من المثل، والقيم الرفيعة، والمنهج الإسلامى الأمثل فى الأخلاق، والآداب، والعلاقات الاجتماعية، هذا إلى جانب أخذ العظة والاعتبار والأسوة الحسنة من هديه ﷺ، وقد آثرت بالحديث تناول الأحاديث الصحيحة المتفق عليها فوقع اختيارى على" كتاب الأدب" من كتاب (**اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**) وهو كتاب أحصى جميع الأحاديث التى هى فى أعلى درجة من درجات الصحة، وقد اشتمل البحث على مقدمة، ومجموعة متنوعة من أحاديث الآداب العامة التى تغرس فى النفس الفضائل وترشد إلى مكارم الأخلاق.

قسمتها إلى ثلاث مجموعات:

١- ما جاء فى التعاون والتراحم وحسن المعاملة بين الناس.
٢- ما جاء فى كظم الغيظ، والصبر على البلاء والمرض، والأذى.
٣- ما جاء فى الترهيب من الظلم، والترغيب فى مجالسة الصالحين، وحكمته فى إجابة السائلين، ثم خاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

واتجهت فى تناول الأحاديث إلى الدراسة التحليلية التطبيقية.

تتناول الجوانب التالية:

١- ذكر النص والإشارة إلى الاختلافات الواردة فى روايته.
٢- تناول المفردات اللغوية للحديث.

٣- ذكر المعنى العام للحديث بصورة تقود القارئ إلى فهم النص فهماً صحيحاً.

٤- التحليل البلاغى، وجوانب الإبداع فى ألفاظه، وأساليبه، وصوره، ومعانيه من دقة تعبير، وإيحاءات لفظية، وبلاغية فى القول، وصور تعبيرية حقيقية أو مجازية، وإشارات بليغة ومعان لطيفة، واتسمت هذه الأحاديث فى مجملها بالإيجاز فكانت قليلة اللفظ كثيرة المعنى، كما تميزت بعمق المعنى، وسلامة المغزى.

والله سبحانه من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل

د/ نادية الحـــناوى
أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات بالإسكندرية

أحاديث التعاون والتراحم وحسن المعاملة بين الناس

١- عَنْ أَبِى مُوسَى الأشعرى –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « **الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ** »(١) رواه مسلم

وأخرجه البخارى عن أبى موسى الأشعرى: " **إن الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. ثُمَّ شَبَّكَ بين أَصَابِعَهُ** "(٢) رواه البخارى

معنى الحديث:

إن بعض المؤمنين فى مظاهرته ومناصرته ومؤازرته للبعض الآخر فى أمور دينه وشؤون دنياه حيث يشارك كل منهما الآخر فى أفراحه وأحزانه، وآماله وآلامه كالبنيان المتماسك الذى يقوى بعضه بعضاً حتى لا تتداعى حيطانه.

الصور البلاغية فى الحديث:

الحديث صريح فى تعظيم حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، وهو دعوى للمؤمنين ليتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وفيه من الإيجاز فى العبارة وإصابة المعنى ما كان له وقعه فى النفوس، وتأثيره فى القلوب من النظم المحكم والوصف المتقن.

وقد تضمن الحديث وسيلة توكيد وتقرير فعليه فى تشبيك أصابعه ﷺ فمما لا شك فيه أن للإشارات والحركات والأفعال دلالة عميقة فى إيضاح المعانى، وترسيخها فى النفس، وهذا يدل على اهتمامه البالغ ﷺ بوسائل الإيضاح فى تعليم أمته بشغل الحاسة مع العقل فقد يكون الفعل لافتاً ومشوقاً فإذا تبعه البيان ازداد الغرض تقريراً

---

(١) صحيح مسلم كتاب الأدب باب تراحم المؤمنين جـ ١٦ ص ١١٩،.

المؤمن: اسم فاعل من الإيمان وهو التصديق بالقلب، والمُسلم: اسم فاعل من الإسلام وهو الإقرار باللسان، والمؤمن فى الاصطلاح غير المسلم لكن هذا يتعين عند اجتماعهما كما فى قوله: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا} سورة الحجرات آية ١٤، فإذا افترقتا كان معنى المؤمن هو معنى المسلم والعكس وهو من صدق بقلبه وأقر بلسانه. دراسات بلاغية فى القرآن والحديث د/ عبدالفتاح لاشين صـ١٣٧.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. ص ٥٦١، فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. جـ١٠ ص٥١٣

وتوكيداً فلا يمكن نسيانه، بل يظل شاخصاً أمام الأعين، وقد ورد الكثير من هذه الوسائل التى رافقت حديثه ﷺ.

إن: ابتدأ الكلام بضرب من التأكيد، بـ "**إن**" المكسورة(١) والكلام ليس جواباً عن إنكار منكر، وإنما أكد ابتداء؛ لأن هذا الأمر مما يهتم به، وهو حث المؤمنين على التعاون والتلاحم والتماسك، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت والدوام.

المؤمن: اللام فيه للجنس(٢)، والمراد بعض المؤمنين للبعض.

وفى الحديث عبر "**باللام**" دون "**مع**" فى قوله: " **المؤمن للمؤمن** " ولم يقل المؤمن مع المؤمن، إشارة إلى أن المؤمنين كلما زاد عددهم وضم أحدهم للآخر وترابطوا فيما بينهم قويت شوكتهم، وعظمت قوتهم ونفع بعضهم بعضاً كالبنيان كلما زادت فيه لبنة زادت صلابته وقوته. اللام فيها معنى المنفعة. (٣)

يشبه النبى ﷺ تماسك المؤمنين وتعاونهم لتقوية شوكتهم بتماسك أجزاء البناء وتقوية بعضهم بعضاً حتى لا تتداعى حيطانه.

المشبه: حال المؤمن مع المؤمن حينما يسود بينهما الحب والتعاون والترابط والتراحم.

المشبه به: حال أجزاء البنيان بعضها مع بعض تتماسك حتى لا تؤثر فيها عوامل الطبيعة.

---

(١) إن مكسورة الهمزة تأتى على وجهين أولهما أن تكون حرف توكيد، ثانيهما حرف جواب بمعنى نعم، وهى هنا حرف توكيد. مغنى اللبيب جأ ١ ص ٣٧.

(٢) معنى الجنس والفرق بينه وبين الاستغراق : لام الجنس : يشار بها إلى الحقيقة بقطع النظر عن عمومها وخصوصها كقولهم أهلك الناس الدينار والدرهم أى حقيقتها.
أو يشار بها إلى فرد مبهم إذا قامت عليه قرينة تقوله تعالى ؛ "وأخاف أن يأكله الذئب " يشار بن إلى فرد غير معين من أفراد جنس الذئب أما لامه الاستغراق.
فهى شاملة لكل الافراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة نحو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ إن كل إنسان بدليل الاستثناء.
أو بحسب العرف هو ما تعارف الناس عليه (انظر شروح التلخيص جـ١ صـ٣٢٤.

(٣) هذه اللام المكسورة العاملة الجارة تعمل الجر فى الأسماء، ويأتى بمعنى الملك أو الاختصاص نحو المال يزيد، الخيل للدابة، ووجه دلالة اللام على المنفعة هنا المؤمن فى نفعه للمؤمن قوله تعالى ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ أن النفس جزاء ما كسبته كسبته من الطاعات. وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصى. حروف المعانى للرمانى صـ٥٥.

وجه الشبه: مستفاد من قوله: " يشد بعضه بعضاً " وفى تشبيك أصابعه ﷺ بيان لوجه الشبه أى يشد بعضه بعضاً مثل هذا الشد، وفى ضم اليد الأولى إلى الأخرى دعوة فعلية وتوجيه عملى لما ينبغى أن يكون عليه المؤمنون فى علاقاتهم ليصبحوا قوة مهابة وهذه الصورة برهاناً لما دعى إليه الرسول فى صدر الحديث، والتشبيه وسيلة من وسائل التوكيد بإخراجه الخفى إلى الجلى والمبهم إلى الموضح والمعنوى إلى شئ تدركه الحواس فيتأكد فى النفس ويتقرر فى الفؤاد.

وفى الحديث تشبيه تمثيلى[1]، وجه شبه مركب عقلى لأنه شبه حالة بحالة أو هيئة بهيئة، وفى هذا التمثيل ما يرشد إلى توطيد دعائم الإيمان وترسيخ أصولها على أسس من المحبة والتعاون والإخلاص. والحكمة من تشبيك أصابعه ﷺ أن يجمع بين التمثيل القولى والتمثيل الفعلى؛ لأنه أراد المبالغة فى بيان أقواله فمثلها بحركاته؛ لتكون أوقع فى النفس، وأبلغ فى التأثير، والأخذ بأسباب التعاون.

والحديث يتطابق مع قوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُــدْوَانِ}**[2] وفيه حث على التعاون، ودعوة إلى الوحدة والتماسك والتآخى بين المؤمنين جميعاً تحت راية واحدة.

۞۞۞

٢- عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** " الحديث ورد بعدة روايات.

ففى رواية أخرى: " **المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** "

وفى رواية ثالثة لمسلم أيضا:**عن النعمان بن بشير أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ " المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**"[3]

---

(١) المراد بالتمثيل عند البلاغيين مذهبين ١) مذهب الخطيب والجمهور : التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصف منتزع من متعدد أمرين أمور أى هيئة مركبة (٢) مذهب الإمام عبدالقاهر – التمثيل عنده ضابطه خفاء وجه الشبه وإعمال الفكر فى تحصيله سواء كان الوجه مفردا أو مركبا والمراد ما كان وجه الشبه أمرا غير بين لنفسه بل يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر – انظر الإيضاح ٣٧١ ، أسرار البلاغة ١٩٠.

(٢) سورة المائدة آية ٢

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم جـ ١٦ ص١١٩

وأخرجه الإمام البخارى:

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ " **ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى** "[1]

معنى الحديث:

أراد النبى ﷺ أن يقرر حقيقة الإيمان فى قلوب المؤمنين ببيان اللوازم المبينة لوجوده فضرب لهم منها مثلاً يصورهم –متى كانوا عليها– صورة أعضاء الجسد فى الجسد الواحد إذا آلم أحدها تألم له باقى الأعضاء فيسهر الجميع لسهره ويحم لحماه.

هذه الحالة الجسمية والوجدانية مرت بكل إنسان، وتستمر ما دامت الحياة، وهى مقياس دقيق يقيس به النبى ﷺ حال المؤمنين إذا تم إيمانهم ليحملهم على تزكية الأنفس، وإرهاف الحس، ويقظة الروح لكل من يجمع الإيمان بينهم ويرشدهم إلى أن مجتمعهم بخير ما كانوا هكذا بلا انفصال ولا استقلال فهم أعضاء جسد يصح بصحة الجميع، ويقوى بقوته، ويمرض بمرضه، ويضعف بضعفه.[2]

ولعل ما نراه من تأخر المسلمين، وعدم اتحادهم وتفرق كلمتهم آية صدق على هذا الحديث، ولن يكونوا أعزة إلا إذا عادوا جسداً واحداً.

الصور البلاغية :

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ٤٤٩. كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم.

اللغة: المثل: الصفة العجيبة الشأن، وليس المراد القول السائر، ويستعمل فى أسلوب التشبيه التمثيلى. التراحم والتواد والتعاطف كلها من باب التفاعل، وهى وإن تقاربت فى المعنى إلا أن بينها فرق لطيف. **التراحم:** رحمة بعضهم بعضاً بإخوة الإيمان لا بسبب آخر. **التواد:** أصله التوادد وأدغمت الدال فى الدال من المودة.

وهو التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادى. **التعاطف:** إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب على الثوب تقوية له. عمدة القارئ للبدر العينى جـ ١٨ ص ١٤٥، الأدب النبوى للمرحوم محمد عبد العزيز الخولى ص ١٢٢

والمراد احتياج كل فرد منهم للآخر. **تداعى:** دعا بعضه بعضاً للمشاركة فى الألم، ومنه تداعت الحيطان أى تساقطت. **الحمى:** حرارة غريزية تشتعل فى القلب فتشب منه فى جميع البدن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان صـ٥٧٣.

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٦٠.

هذا الحديث برواياته المتعددة من باب ضرب الأمثال، وضرب المثل من الأساليب البلاغية التى تشوق إلى الخبر وتمكنه فى النفس خير تمكن.

وفى الرواية الأولى يمثل الرسول ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وفى هذا التشبيه بيان أن الأعضاء كلها وإن لم تكن متساوية فى الأهمية؛ لكنها متساوية من حيث تألم الجسد لحلول أى ضرر عليه، فالإصبع والظفر والعين واليد والرأس كل ذلك إذا حدث له مكروه تألم صاحبه، وسهر من أجله.

وفى الرواية الثانية اختار النبى ﷺ " الرأس "، وفى الرواية الثالثة اختار " العين ". وهذا يدل على أن العين والرأس ظهر وأشرف أعضاء الجسد العين بها البصر والرأس بها التفكير

هذا كله يؤكد أن المسلمين كالجسد الواحد، إذا تألم أو مرض منه عضو مهما كان هذا العضو تألم له الباقى.

وهكذا فليس هناك عضو فى المجتمع الإسلامى مهما كان شأنه هيناً لا تتأثر الأمة من أجل ضر أصابه، إنهم لابد أن يتألموا؛ لأنهم جسد واحد.(١)

وتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح فيه توضيح للمعانى وتقريب للأفهام بتصوير الأمور المعنوية وإظهارها فى صورة محسوسة، ولا شك أن لهذا الجانب التمثيلى عظيم الأثر فى الافصاح عن المعنى المراد، وقد تميز المثل بالوضوح كما قام على الجانب الوصفى التصويرى بفصاحة بارعة ونظم بديع.

وهو تشبيه تمثيلى بديع وجه الشبه فيه مركب عقلي مركب ذكرت فيه الأداة ومدخولها لفظ " مثل " حيث صور تماسك المسلمين وتعاونهم بالجسد الواحد فأخرج المعنوى فى صورة محسوسة .

المشبه: تآخى المؤمنين وتعاونهم وتراحمهم ووقوفهم جنباً إلى جنب فى الشدائد، واحتياج كل فرد منهم للآخر.

(١) التصوير الفنى فى الحديث د / محمد الصباغ جـ ٤٤٩.

المشبه به: الجسد الواحد الذى إذا أصيب منه عضو تأثر له جميع الأعضاء،وذهب عنه النوم وهو مشبه به معرفة، و"الواحد" تأكيد له، والجملة بعده مستأنفة، وإتباع الجسد بـ" الواحد " تأكيد للوحدة الحاصلة من تماسك الأعضاء والتى هى سر السهر والحمى اللذان يصيبان الجميع بإصابة العضو منه.

ولا شك أن الممثل كلما زاد تقريراً وتأكيداً زاد الممثل له تأكيداً مثله، لأنه موضوع له.

وجه الشبه: التوافق فى التعب والراحة وهو مركب عقلى.

وفى رواية البخارى: ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم.

الخطاب عام لكل من تتأتى منه الرؤية فلا يختص برؤية راء وإنما أنا أرى ذلك وأنت تراه، وكلنا يرى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم جسداً واحداً.

وهكذا فالإيمان فى قلوب المؤمنين كالدم المتدفق فى الجسد به حياتها وتماسكها، كما بالدم حياة الأعضاء وترابطها.

والأفعال الثلاثة: " توادهم، وترابطهم، وتعاطفهم " جاءت بصيغة التفاعل التى تدل عى المشاركة فى إيجاد الفعل، فهو يستدعى اشتراك الجماعة فى أصل الفعل، فالمضاف إليه وهو ضمير الجمع " هم " متماثلون فى بذل الود والرحمة والعطف.

ونلاحظ احكام الكلمات وتفصيلها فى الحديث الشريف فى قوله:

" توادهم وتراحمهم وتعاطفهم "؛ لأنه لا تراحم بين المسلمين بغير ود، ولا تعاطف بغير تراحم، ونفس الإحكام والتفصيل فى القرآن الكريم فى قوله جل وعلا: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**

إنه نفس الترتيب فى الحديث النبوى الود ثم الرحمة.(١)

ومجانسة جواب الشرط لفعل الشرط فى المضى مع إمكان أن يكون مضارعاً أدل على هذه الصفات، لأنه محقق فكأنه وقع وانتهى، ولما فيه من إشعار بالمبادرة وإسراع بالنجدة للاقتران الزمنى بين الشكوى والتداعى.

(١) سورة الروم آية ٢١، وانظر موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ص ٢٥.

ويلاحظ دقة التعبير بلفظ " تداعى " وما يحمله هذا اللفظ من عجيب معنى فهو يخيل إلينا أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة يدعو بعضها بعضاً وينادية لإسعاف صاحبها و مواساته، ثم يبين أن هذه الدعوة وهذا النداء ليس صراخاً بلا مجيب ولا مغيث، وإنما هو الجواب المسعف، والمساعد السهر والحمى [١]، الحمى : علة يستحر بها الجسم من الحميم [٢].

وقدم السهر عليها ؛ لأن الألم يمنع النوم وفقد النوم يثير الحمى.

❁❁❁

٣- عَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « **لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ** ».[٣]

فى الحديث بيان لتحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بنص الحديث، وإباحتها فى الثلاث الأُول بمفهوم الحديث، وعفى عنها فى الثلاث الأُول؛ لأن الإنسان مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفى عنها ليذهب ذلك العارض. [٤]

<u>بلاغة الحديث:</u>

إبتدأ الحديث بقوله " لا يحل " ولم يقل " يحرم " مع أن نفى الحل إثبات للحرمة، وذلك مطابقة للشأن القائم بالنفس من الهاجر إذ يرى أن الهجر حلالاً فيهجر لعدم ظهور حرمته. [٥] ونلاحظ أن لصدر الحديث فى البيان النبوى صفة غالبة من صفات الاثارة والتشويق حيث قدم ما يعمل بالحكم وهو قوله لا يحل فيشتاق السامع لمعرفة

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية بتصرف ص ١٦١.
(٢) لسان العرب مادة : حمم.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والأدب باب تحريم الهجر فوق ثلاث جـ ١٦ صحيح البخارى، كتاب الأدب باب الهجرة.،
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٦ ص ١٠٠
(٥) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ ١٥٦ بتصرف.

هذا الذى هو غير حلال [١]. ولا يحل خبر مراد به النهى وسبب العدول عن الإنشاء إلى الخبر الحثى على سرعة الامتثال فالمراد نهى المسلمين عن هذا لا الاخبار بذلك عنهم.

وجئ بالفعل المضارع بعد حرف النفى " لا " وتسلط النفى عليه إشارة إلى إطراد ذلك الحكم ما دامت الحياة فكلما جد هجر جد معه حكم حرمته، وهذا أدعى إلى التدبر والتأمل من كل هاجر لأخيه المسلم، والتعبير بلفظ " لا يحل " بضمير المفرد الغائب ثم إسناده إلى لفظ " مسلم "أمر لنا من النبى –ﷺ– بذلك ولا ينفى ان تكون المرأة داخلة فى الخطاب، إنما ذكر الرجل تغليباً والمراد " لا يحل لمسلم ولا مسلمة " لأن النساء شقائق الرجال والتكليف مطالب به الرجل والمرأة على حد سواء، وتقييده " بالمسلم " تعريض بنفى الإسلام عن كل من اتصف بتلك الصفة المحرمة، وهجر أخاه.

وتنكير " مسلم " بعد هذا الفعل المنفى أفاد العموم والشمول واستغراق جميع أفراده، ولا شك أن استغراق المفرد أعم أنواع الاستغراق " أن يهجر ".

وعبر بالمصدر المؤول من أن والفعل المضارع " أن يهجر " بدلاً من المصدر الصريح فيقول: " هجر أخيه " لأن صيغة المضارع تدل على استحضار الصورة مع تجددها كل وقت وكل حين، وهذا الحرف علم استقبال فهو يشير لاطراد الحكم على ما سيحدث دون ما حدث، لأن ما سبق عفو يُرجى له السماح من الله ﷻ. والتعبير بلفظ الهجر يدل على مفارقة كلام أخيه المسلم لسخط عليه مع تلاقيهما واعراض كل واحد منهما عن الآخر عند اجتماعهما، لا مفارقة الوطن كما تدل على أن المسلم يتألم من هذا الترك الذى لا اختيار له فيه إنما سببه الغضب[٢].

وعبر بلفظ " أخاه " أى أخاه فى الإسلام وهو لفظ كاشف ومخلص لظلام القلب وقت الهجر والغضب، وفيه إشارة إلى عظيم نعمة الأخوة فى الدين وفى الله التى تفوق فى الرحمة والإشفاق أخوة النسب؛ لأنها تجعل المؤمنين أعضاء جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وهو يدل على أن المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وديارهم أسرة واحدة.

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ٣٩٠.

(٢) الفائق فى الأخلاق والتربية ملخص فضل الله الصور فى توضيح الأدب المفرد جـ١ صـ٣٦١.

وقيد الهجر بـ " ثلاث ليال " حتى يتم انقضاء الغضب وذهاب هذا العارض، وعودة النفس اللوامة وتدبر معانى السلوك الدينى وقهر الشيطان بالقيم العامية من آداب الإسلام، ونرى هذا السمو فى البيان النبوى والارتقاء فى الفصاحة والبلاغة النبوية حينما عبر بالظرف " فوق " فى قوله:" **فوق ثلاث**" ولم يقل أكثر من ثلاث، أو زيادة على ثلاث أو نحو ذلك للدلالة على التكبر والتعالى من الهاجر.

وذلك لتصوير الهاجر لأخيه بصورة المتعال المتكبر الذى تأخذه العزة بالإثم

" **يلتقيان فيُعرض هذا، ويُعرض هذا** "

فصلت هذه الجملة عن الجملة السابقة والفصل لكمال الاتصال بين الجملتين بأن تتحد الجملتان اتحادا تاما بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها منى كالبدل منها، فهى وافية بإيضاح الهجر وبيانه، ودالة على اشتراك الهاجر والمهجور فى الحرمة، لأن كلا منهما أخ للآخر، كما ساوت بينهما فى الإعراض عند الالتقاء، وقدم المسند للاهتمام بالفعل " الإعراض ". فيعرض" الفاء للترتيب والتعقيب فبمجرد الالتقاء يعرض كل منهما يمينا وشمالا

وقد صورت الجملة صورة المتقاطعين بصورة المشاهد المحسوس بحاسة البصر حينما بينت إعراض هذا يميناً، وهذا شمالاً بواسطة مجئ المسند إليه اسم إشارة " **هذا** " وهو تدابر وتنافر محرم بين المؤمنين.

وإيراد المسند فعلاً مضارعاً (*) للدلالة على استحضار الصورة فى ذهن السامع كالواقع المرئى فى الحال، وحدوث التجدد حالاً بعد حال،كلما التقيا تجدد الإعراض وحدث، ثم عطفت الجملة التالية عليها قوله "وخيرهما الذى يبدأ بالسلام" هذه الجملة نزلت منزلة حال منسية أو مجهولة هى الأولى بالنظر عند التعقل وكأنه قيل : فيعرض هذا ويعرض هذا ناسين أفضلية البادئ منهما بالسلام ولذلك ارتبطت هذه الجملة بالواو توثيقاً للصلة بينها وبين صاحبها وهى جملة مقررة ومؤكدة فى المعنى لجملة الحكم السابقة " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه ". لأن استيقان عدم الحل يتأكد ببدء الأخ أخاه بالسلام، ومن استيقن ذلك بدأ بالسلام فكان هو خيرهما.

وقوله: " **خيرهما** " بصيغة التفضيل يدل على اشتراكهما فى الخيرية فالآخر فيه خير وإن لم يكن الأفضل؛ لأن من شأنه أن يستجيب فيرد السلام.

(*) يُعرض بضم الياء من إعراض الوجه.

ويدل على هذا قوله -ﷺ- " **الذى يبدأ** " لأن البدء يستلزم الاستتباع، وإنما فات الثانى قوة العزيمة فى قهر النفس وحملها على الصفح الجميل والعفو والصفو والتواصل.(١)

والتقديم فى قوله " خيرهما " للتشويق إلى ذكر المسند إليه لأن فيه ما يشوق النفس إلى ذكره ومعرفة من هو ذاك الخير.

وتعريف المسند إليه بالموصولية فى قوله: " **الذى يبدأ بالسلام** " لتقرير الغرض المسوق له الكلام وهو إثبات حرمة هجر المسلم لأخيه المسلم إلى جانب تعظيم شأن الصلة.

هكذا كانت هناك ثلاث جمل فى الحديث متماسكة تماسكاً شديداً محكماً، أحكمه الفصل حيناً والوصل آخر لتؤدى المعنى المراد تمام تأدية.

<u>ويؤخذ من الحديث</u>

إثبات حرمة هجر المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاث ليال.

وفى الحديث توجيه لكل مسلم إلى المبادرة بالسلام، والابتعاد عن التقاطع والهجر.

۞۞۞

٤- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** ».(٢)

---

(١) انظر الحديث النبوى من الوجه البلاغية ص ١٢٦.

(٢) صحيح مسلم باب تحريم الظن والتجسس والتنافس وغيرها ج١٦ ص١، صحيح البخارى باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

<u>اللغة:</u> الظن هو التهمة دون دليل، التى لا سبب لها، والمراد النهى عن ظن السوء، والظن حديث النفس الذى يلقيه الشيطان فى نفس الإنسان. بلاغة الأمر والنهى فى البيان النبوى د/ إسماعيل محمد الأنور .

" **أكذب الحديث** ": المراد به حديث النفس وكل ظان يحدث نفسه بما يظنه، والمراد فإن الظن أكثر كذباً من الحديث أو الكلام. =

= " **لا تحسسوا ولا تجسسوا** ": كل منهما بتاءين حذفت إحداهما تخفيفاً وكذلك بقية النواهى التى تلتها، والمراد لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها.**التحسس** ": الاستماع لحديث القوم،و بالجيم البحث عن العورات، وقيل بالحاء أن تبحث لنفسك وبالجيم أن تبحث لغيرك.

معنى الحديث:

هذا الحديث يضع الأساس السليم للتعامل فى الإسلام فقد جاء التحذير والنهى فيه عن بضع آفات خطيرة لو استشرت فى المجتمع لأدت إلى إهلاكه والفتك به، تلك الآفات هى الظن السيئ، والتحسس، والتجسس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، ثم اتبعت تلك النواهى بأمر يؤكدها ويكشف عن علتها بقوله " **وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** "(١)، والحديث الشريف يتطابق مع قوله ﷻ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا}**(٢)

يحذرنا الرسول الكريم من الظن ويصفه بأنه أكذب الحديث والمراد به ظن السوء بالناس دون مسوغ ولا دليل ثم إصدار الأحكام بناء على ذلك، كما نهانا عن التجسس(*)

لأن فيه إطلاع على أسرار الناس وكشفا لعوراتهم وذلك مما يسئ العلاقة بين الناس، والإسلام حريص على صلة المسلم بأخيه المسلم، كذا نهانا –ﷺ – عن الحسد؛ لأنه يتنافى مع خلق المسلم ويدل على نقص الإيمان، وليس أفسد طبعاً،ولا أدنى نفساً، ولا أشقى حظاً ممن تؤلمه النعمة يمنحها الله من يشاء لحكمته فيعترض على الله،

وقيل " التحسس " بالحاء البحث عما يدرك بحاسة العين أو الأذن، والتجسس: البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر ومنه الجاسوس،ورجح القرطبى هذا المعنى. عمدة القارئ جـ ١٨ ص ١٧٩ .

" **لا تحاسدوا** ": النهى عن تمنى زوال النعمة عن الآخرين.

أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك بأن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه، أما الغبط يتمنى أن يكون له مثلها. لسان العرب مادة حسد .

" **تباغضوا** " البغض والبغضة نقيض الحب، والبغضاء والبغاضة شدة البغض، بغضه الرجل بغاضة صار بغيضاً. لسان العرب، مادة بغض

" **لا تباغضوا** ": لا تتعاطوا أسباب البغض والمراد النى عن الأهواء المؤدية للتباغض. فتح البارى جـ١ صـ٥٥٠

(١) من روائع البيان النبوى د/ فريد النكلاوى ص ٩٥.

(٢) سورة الحجرات آية ١٢

(*) أما التجسس فى الحرب على الأعداء، او على المجرمين لمنعهم من ارتكاب جرائمهم أو لمعرفة الجناة فهذا يدعوا إليه الإسلام ولا يحرمه لأمن الناس ولمصلحة العامة.

وينتقض حكمته بالنظر الحاقد على هذه النعمة، وتمنى زوالها،ينهانا ا النبى ﷺ عن ذلك كله.

وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن التطلع لما فى يد الغير وتمنيه بقوله **{وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}**(١)

أيضاً نهانا النبى –ﷺ– عن التدابر والتباغض، لأن فيه تقطيع للروابط وتفكيك للعلاقات بين المؤمنين.

بلاغة الحديث:

فى هذا الحديث نجد كراهية الرسول –ﷺ–للظن وبغضه له حيث صدر كلامه بتحذير المسلمين جميعاً فقال:" إياكم والظن" بمعنى: اجتنبوا أولا تقربوا هذا الشيء،ولا تتخذوه سلوكاً،ولا تسولوا لأنفسكم طريقه.

تصدير الكلام بصيغة التحذير " **إياكم** " وهى صفة عاليه من صفات الإثارة والتشويق تعجيلاً بالإنذار وإعلانا لخطورة الأمر لجذب انتباه السامع، فإن السامع إذا طرق سمعه هذا اللفظ ترك ما يشغله وأصغى وانتبه لما يحذر منه خاصة إذا عرف فى محذره حرص(٢) الناصح الأمين، ولا شك أن تحذير النبى ﷺ للمسلمين أمر له أهميته، ولهذا اختار له هذه اللفظة المعبرة " **إياكم** " بمعنى احذروا وابتعدوا.

ثم عقب النبى –ﷺ– بالعلة فى النهى(*) عن الظن ببيان قبح هذا المسلك والتنفير منه بقوله:" فإن الظن أكذب الحديث " مؤكداً الكلام بـ " إن، والفاء، واسمية الجملة، والفاء هنا مشيرة إلى معنى الشرط، والشرط يزيد الكلام تأكيداً كأنه –ﷺ– قال: مهما يكن من شيء فإن الظن أكذب الحديث. ووصف الظن بأنه أكذب الحديث وهو أسلوب تفضيل للمبالغة فى ذمة والتنفير منه، إشارة إلى أن صاحب الظن السيئ بصنيعه هذا

---

(١) سورة النساء آية ٣٢

(٢) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ٤٠٨.

(*) والنهى عن الظن هنا لا يراد به ترك العمل بالظن الذى تناط به الأحكام، بل المراد ترك تحقيق الظن الذى يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع فى القلب بغير دليل، وذلك لأن أوائل الظنون إنما هى خواطر لا يمكن دفعها وما لا يقدر عليه لا يكلف به.

الظن المحظور هو سود الظن بالله تعالى كذلك الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة والظن المهاج : كالشك فى الصلاة إذا كان إماما فإن النبى ﷺ أمر بالتحرى والعمل بغالب الظن فإن فعله كان مباحا وإن عدل إلى غيره من البناء على اليقين جاز.

وهناك ظن منسوب إليه كإحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه ويثاب عليه (انظر عمدة القارئ للبدر العينى جـ١٨صـ١٧٩).

يصير أشد من الكاذب، وذلك لأن الكذب فى أصله مستقبح مستغنى عن ذمه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من المكذب المحصن لخفائه وظهور الكذب المحصن.

ولا شك أن الظن بالناس ظناً سيئاً عامل هام من عوامل تفرق الأمة وضعفها.

وفصلت هذه الجملة عن الجملة السابقة لوقوعها موقع الجواب عن سؤال ينشأ من الجملة الأولى تقديره.

لماذا نهانا النبى -ﷺ- عن الظن فى كثير من الأحيان وهذا يسمى شبه كمال الاتصال.[1]

وقد أبان الحديث الشريف علة النهى عن الظن بأنه أكذب الحديث مع أن الكذب لا يكون إلا فى الأقوال وذلك لما يترتب على الظن.

وتسمية الظن حديثاً مجاز، لأن المراد ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازاً مرسلاً علاقته السببية أطلق السبب وأراد المسبب؛ لآن الظن سبب فى الحديث والحديث مسبب عنه.

ويعطف النبى ﷺ على النهى عن الظن الكذب أيضاً النهى عن التحسس والتجسس، وهما لفظتان تصويريتان متميزان بالحركة والصوت إذ التحسس من الحاسة، والتجسس اختبار الشيء باليد وهى حاسة أيضاً، وقيل الأول استماع حديث القوم، والثانية البحث عن عورات الناس، ولا شك أن هذا عامل آخر من عوامل ضعف المسلمين من خلال تتبع بعضهم عورات بعض، ومحاولة الوقوف على أسرارهم المكتومة، وأخبارهم التى لا يرغبون فى إظهارها.

فكم يصور لفظ " تحسسوا وتجسسوا " من صورة تتبع الحس تلصصا وتطلبا لخفايا الناس. وهو تصوير للمعنى بجرس اللفظ.

---

(١) يتحقق إذا كانت الجملة الثانية جواباً بالسؤال اقتضته الجملة الأولى ودلت عليه بالفحوى والذوق، ولم يكن كمال اتصال لأنه ليس هناك اتحاد فى المعنى، وقد فصل بين الجملتين كما يفصل الجواب عن السؤال ويسمى استئنافاً، والمراد استئناف جواب يتم به الكلام، وقد زاد أمر القطع والاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر، فقال (ص) " **فإن الظن** " ولم يقل فإنه فلما ذكر " الظن " كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاما مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج يقطع الأمل فى تجدد النظر فى هذا الحكم.

ولذلك فالمراد بالنهى فى هذه الأمور الإلزام ثم يعطف على ذلك النهى عن الحسد بقوله: " لا تحاسدوا " لأنه وإن كان مركوزاً فى الطباع إلا أننا مطالبون بمقاومته لأنه يمزق النفس ويشعل فيها النار ويؤجج الحقد والكراهية.

كذا ينهانا الرسول الكريم عن تعاطى أسباب التباغض، لأن الحب والبغض معان قلبية فقال: لا تباغضوا ولا تدابروا كل هذا سبيله النهى حقيقة عن قرب هذه الأشياء، وفى التعبير عن المنهى عنه بصيغة التفاعل الدالة على المشاركة بلاغة، لأن جميع المنهيات المذكورة من الأمور التى لا تتم إلا بالمشاركة بين الأفراد والجماعات،فكأنه قيل: لا يتحسس بعضكم بعضاً، ولا يتجسس بعضكم على بعض، ولا تحاسدوا فيما بينكم، ولا تباغضوا فيما بينكم.(١)

وقد حض النبى –ﷺ– على التواصل مرة بأسلوب الأمر وأخرى بالنهى فقال: " صل من قطعك، وأعط من حرمك، ولا تباغضوا ولا تدابروا " ثم يؤكد دعوته إلى المحبة والتواصل حتى يكون المسلمون يدا واحدة وقلباً واحداً.

ثم يختم رسولنا الكريم هذه التوجيهات النبوية النبيلة بقوله: " **وكونوا عباد الله إخوانا** " فاتبع النواهى بأمر يؤكدها ويكشف عن علتها.

والمراد بالأمر هنا الإلزام، والعمل على نبذ ما يعكر صفو المسلمين ليكونوا كما أراد الله لهم إخوة متحابين كإخوان النسب فى الرحمة والشفقة والمودة والرفق والتعاون.(٢) وهو أمر واجب الامتثال.

وقيمة التعبير بالأمر هنا مصحوباً بالنداء فى قوله **(وكونوا عباد الله إخوانا)** أى يا عباد الله، و حذف حرف النداء فيه إشارة إلى أنكم عبيد لله فحقكم أن تتوخوا ذلك، وفى إضافة عباد إلى لفظ الجلالة " **الله** " إشارة إلى أنه لا يستحق أن ينال شرف العبودية لله إلا من كان بمنأى عن هذه الأمور المنهى عنها.

وجملة " و**كونوا عباد الله إخوانا** " معطوفة على الجملة السابقة عليها للاتفاق فى الإنشائية لفظاً ومعنى مع وجود المناسبة التامة بين الجملتين فهذا أمر ،وذاك نهى، وهو ما يسمى بالتوسط بين الكمالين مع وجود الجامع.

---

(١) بلاغة الأمر والنهى فى البيان النبوى لإسماعيل محمد الأنور صـ١٥٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٩٨.

وهو تأكيد لوجوب تنمية الإخوة الإيمانية بمعنى حققوا إخوة الدين لقوله تعالى " **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**[١]

والجملة تعليل لما سبق كأنه يقول: إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوة كأخوة النسب فى الحب والصفاء والرحمة، ومفهومه وإن لم تتركوها تصيروا أعداء.[٢]

ونلاحظ أن الترتيب الذى ورد عليه الحديث جاء محكماً حيث أن المحذر منه وما تبعه من منهيات يرتبط اللاحق فيها بالسابق وينشأ عنه، فقدم الظن محذراً منه، لأنه أكذب الحديث، ولأنه رأس كل البلايا، وتنشأ عنه كل المنهيات الواردة فى الحديث.

ولا شك أن لإتباع ما أرشدنا له النبى –ﷺ– واجتناب ما نهانا عنه آثار طيبة حسنة إذا اجتمعت فى نفس المؤمن هذبته، وطبعت فيه ملكات الخير، وجعلته عضوا مفيداً فى مجتمعه.

❁❁❁

٥– عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « **لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**»[٣].

المعنى: الدين الاسلامى دين المحبة والإخوة والتالف ينهى عن التقاطع ويحث على التواصل، وفى هذا الحديث الشريف ينهانا النبى ﷺ عن البغضاء والكراهية، وعن الحسد لقوله ﷺ «**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**».[٤] كما نهى عن التعادى والتقاطع فقال: "لا تدابروا" أى لا يهجر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه دبره،. ثم يأمرنا بالمحبة والرفق والتعاون والنصيحة الدائمة.

بلاغة الحديث:

بدأ الحديث بالنهى عن التباغض والتحاسد والتدابر بقوله ﷺ " **لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا** " ثلاث جمل إنشائية عطفت بعضها على بعض بينها تقارب شديد فى البناء وراءه تقارب شديد فى المعنى،. الجمل الثلاث داخل بعضها فى بعض

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب الأدب، باب النهى عن التحاسد

(٣) صحيح مسلم كتاب الأدب باب تحريم الظن والتجسس والتنافس وغيرها ج١٦ ص١، صحيح البخارى كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

(٤) الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٥٤٧.

من حيث المعنى؛ لأن التباغض ضد التحاب وهو العداوة والكراهية، والتحاسد كراهية النعمة لأخيه المسلم، والتدابر العداوة والمقاطعة.

وعبر بالمضارع، والمضارع يفيد استحضار الصورة وتجددها، وكأنه ﷺ ماثل بين أيدينا ينهانا عن هذه الأشياء، وبنيت الجمل الثلاث على نظام واحد فعل مضارع فاعله واو الجماعة مسبوق "**بلا**" الناهية، النهى فيها عام حيث تسلط على المضارع فهو يعم أنواع المصدر فقوله: " **لا تباغضوا** " النهى عام لكل ما يكون سبباً لحدوث البغضاء من قول أو فعل، والنهى عن الشيء يلزم الأمر بضده، فالمؤمن مأمور بأن يسعى لما فيه المحبة لإخوانه.

وكذا "**لا تحاسدوا**" النهى فيه يعم جميع أنواع الحسد، فالمؤمن عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه لقوله ﷺ « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** »(١).

ولا تعارض بين النهى عن الحسد عامة، وبين إباحته فيما رواه ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال النَّبِىُّ ﷺ « **لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** »(٢).

لأن الحسد هنا بمعنى(٣) الغبطة أى تمنى ما عند الغير دون زواله فهو محمول على المجاز وعبر عنه بالحسد، لأن الغبطة فيها شائبة من الحسد؛ لأن فيها حب الخير تشبها بالغير والأفضل أن يكون حب الخير لذاته لا للتشبه بأحد..

وقوله:" **كونوا عباد الله إخوانا** "هذا القول من جوامع كلمه ﷺ، لان هذه العبارة مع إيجازها فإنها تشتمل على كل فضيلة وكل خُلق حميد، فمن شأن الإخوان مع بعضهم أن يكونوا متعاونين على البر والتقوى، وأن يكونوا متراحمين ومتكاملين يعطف بعضهم على بعض،ويساعد بعضهم بعضا،ويتسم كل منهم بسمة الحق والخير والإخلاص لأخيه المسلم.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان من خصال الإيمان، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

(٢) فتح البارى جـ١٣ صـ١٢٠، والترغيب والترهيب جـ١ صـ٩٨.

(٣) إطلاق الحسد على الغبطة من قبيل الاستعارة، شبهت الغبطة بالحسد بجامع ما فيها من التطلع إلى ما عند الغير ثم استعير المشبه للمشبه على طريق الإستعارة التصريحية، ويجوز أن يكون الكلام من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد.

ومما هو جدير بالذكر أن الحديث الشريف قدم التخلى عن الرذائل على التحلى بالفضائل فنهى عن التباغض والتقاطع والتدابر وغيرها من الرذائل، ثم أمر بأن يكونوا إخوانا حيث يتحلون بكل فضيلة تنتج عن هذه الإخوة [1]، فعلى المسلم ألا يسعى فى أمر يحدث فُرقة وقطيعة وهجران بين المسلمين. وبقية الحديث سبق بيانه.

وهذا الحديث وسابقيه بينهم تقارب فى المعنى وتشابه فى اللفظ.

❁❁❁

(١) من أدب النبوة ج١ ص١١٨، انظر البحث ص

الترغيب فى الصدق والتحذير من الكذب

٦- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "**عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدى إلى البر. وإن البر يهدى إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب. فإن الكذب يهدى إلى الفجور. وإن الفجور يهدى إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**". (١)

و أخرجه البخارى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِى -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً** ". (٢)(٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله جـ ١٦ ص ١٣٧.

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى باب قوله تعالى: " **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** " جـ١٠ ص ٥٧٨، وأخرجه الترمذى فى البر.

(٣) **اللغة:** الصدق: نقيض الكذب، وصَدق يَصدُق صَدقاً وصدقا وتصداقاً.

صدقه الحديث: أنبأ بالصدق، وصدقت القوم: قلت لهم الصدق، ورجل صدوق أبلغ من الصادق، ورجل صدق وامرأة صدق وصفاً بالمصدر، ويقال " سيف صدق " أى قوى صلب، ورجل صدق أى شجاع يقول الصدق ولا يخشى فى الله لومة لائم، قال الخليل: الصدق الكامل من كل شيء. (لسان العرب مادة صدق) وقد ورد الصدق فى القرآن بمعنى الصلاح، ومنه قوله تعالى: {**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**} سورة يونس آية ٢ ، أى عملاً صالحاً قدموه لأنفسهم، أيضاً الصدق بمعنى الإيمان لقوله تعالى: {**قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**}سورة المائدة آية ١١٩ ، فالصدق هو الإيمان فى أسمى صوره، والإيمان هو الصدق، فالأمانة صدق، والوفاء صدق، والشكر صدق، الصبر صدق، وكذلك سائر خصال الإيمان تبنى على الصدق وتنتهى إليه.

يهدى: من الهداية وهى الدلالة الموصلة للمطلوب.

البر: الصدق والطاعة، وقيل هو الصلاح، وقيل هو الخير، فالبر خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا ما يسره الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم فى الجنة. لسان العرب مادة برر . =

معنى الحديث:

الحديث من أحاديث الترغيب والترهيب، فهو يرغب فى الصدق ويحذر من الكذب، وهو يعالج أحوال النفس الإنسانية مع فضيلة الصدق ورذيلة الكذب.

ويعد الحديث وصية جامعة لخصال الخير كلها يتلقاها المؤمن بقلبه فيستوعبها بعقله وفكره، وهذه الوصية تتضمن من الوسائل التربوية ما يغرس فى النفوس الفضائل ومكارم الأخلاق كى تثمر خيراً، ولهذا نعلم مقدار هذه الوصية، ومكانتها فى النفوس.

تعرفوا على الصدق فى مواطنه، واستشربوا حبه فى قلوبكم، وألزموه فى جميع أقوالكم وأفعالكم، لأن فى الصدق نجاتكم وعصمته أمركم، وصلاح دينكم ودنياكم، وهو يهدى من التزم به إلى صالح الأعمال، والصدق برهان صحة الإيمان وسلامة القلوب وحسن التوكل على الله [1]

لذا جاء بصيغة " عليكم " للحث على تحرى الصدق والتزامه ليعتاده العبد، كما جاء فى جانب الكذب بلفظ التحذير منه " إياكم " لأن العبد إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به حتى يكتب عند الله كذابا.

الصور البلاغية :

والحديث من جوامع كلمه ﷺ ففى اختيار ألفاظه وصياغته ما يثير اهتمام المتلقى يما يلقى إليه ، حيث بدء الحديث بأسلوب الإغراء " عليكم بالصدق "، والسامع إذا طرق سمعه هذه الكلمة وهى بمعنى " إلزموا الصدق " انتفض من شواغله وألقى انتباهه لما يسمع، وهذا الأسلوب أقوى من أسلوب الأمر بصيغة "افعل" لما فيه من تشويق، وإثارة للعواطف وشحذ للعزائم واستنهاض للهمم، وإلزام بالشيء المغرى به على وجة السرعة، وحث على التمسك به، والترغيب فيه.

= **الفجور**: أصل الفجر الشق، والفجور الميل عن الحق والانبعاث فى المعاصى، والمراد هنا به الميل عن الصدق وأعمال الخير. لسان العرب مادة فجر .

(١) وصايا الرسول وأثرها فى تقويم الفرد وإصلاح المجتمع د / محمد بكر إسماعيل جـ ٢ ص ٢٦٣

وقد أكد هذا الأسلوب بعدة مؤكدات متتالية:

منها " إن " الداخلة فى كل هذه الجمل على الأسماء، وهى زيادة تأكيد آخر، وكل هذا التأكيد لأهمية الخبر الذى يلقيه رسول الله –ﷺ.

ثانياً: التكرار اللفظى لكلمة " الصدق " حيث كرر ذكرها مرات فكان من الممكن أن يقال: عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر، وقوله: لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق يمكن أن يقال فيه ويتحراه. (١)

وفى تكرير هذه الكلمة من التقرير والتوكيد ما فيه إضافة إلى ما توحى به من معان، وكأن الرسول –ﷺ– رغب فى كثرة ذكرها وتكرارها على الألسن، والحديث تميز بالدقة فى ألفاظه وتراكيبه وطريقة بنائه كما تميز بقوة البيان وغزارة المعانى.

والحديث قائم على خمسة ألفاظ يدور فى فلكها هى الصدق، والبر، والكذب، والفجور، وكلمة " يهدى " مشتركة بين المتقابلين، ونلاحظ العموم وسعة المعنى فى هذه الألفاظ. (٢)

الصدق: لفظ عام يشمل كل ما يصح أن يكون وصفاً له من صدق اللسان " القول "، وصدق النية " الإخلاص "، وصدق العزم، وصدق العمل، وغيرها.

والبر كلمة جامعة للخيرات كلها وهو ما أطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب وهو رأس الفضيلة، وقد قال ﷺ :" **البر**(*) **حسن الخلق**"، الصدق يهدى إلى البر، أى يدل دلالة خفية كالهادى الذى يهدى فى الطريق، فصور الصدق بصورة نجم يضئ الطريق إلى أدوية الخير الملتبسة التائهة فى كهوف النفس وأدغالها ومجاهلها.

---

(١) بلاغة ضروب التوكيد فى احاديث الترغيب والترهيب صـ٢٩٥ بتصرف.

(٢) شرح أحاديث من صحيح البخارى صـ ٤٠٥.

(*) جمع البر فى عبارة وجيزة وهى حسن الخلق وقوامه بذل الندى وكف الأذى والإحسان للخلق وجزاء السيئة بالحسنة والعفو عن المسيئ وكظم الغيظ وامتثال ما جاء به الشرع من صفات عباد الرحمن هذا البر بالناس أما البر الذى يبر فاعله ويلحق بالأبرار هم المطيعون لله ﷻ.

وكأن الصدق إذا امتلك القلب لا يعيش فيه وحده، بل يبحث له عن رفيق هو نعم الرفيق وهو البر، وكلمة " يهدى " تشير إلى أن كنوز الخير فى النفس الإنسانية كأنها تائهة فى متاهات، ومجاهل النفس لا يهتدى إليها إلا بهذا المخلص الوفى وهو الصدق، وكأن الصدق صار فى النفس عرافاً يعرف معروفها ويهدى إليه وينكر منكرها.[1]

" وإن البر يهدى إلى الجنة " جملة أيضاً مؤكدة بأكثر من مؤكد إضافة إلى التعبير بالاسم الظاهر بدلاً من الضمير فقد تقدم ذكر البر آنفاً فكأن من الممكن أن يقال: وأنه يهدى إلى الجنة.

لأن هذه اللفظة " البر " توحى بالكثير من المعانى فذكرت للترغيب فيها وكثرة ترديدها على الألسن.

وإذا كان الصدق هاد يهدينا إلى طريق البر والخير العميم فبدوره البر يهدينا إلى دار القرار السعادة الأبدية، والنعيم الدائم الذى لا ينقطع مصداقاً لقوله: " **إن الأبرار لفى نعيم** "[2]

" وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً " جملة معطوفة على الجملة السابقة عليها وهى مؤكدة بـ " إن، واللام، واسمية الجملة "، وذلك لأهمية هذا الخبر وخطره وإنه عند الله بمكان.

كيف أن الرجل يعتاد الصدق حتى يأخذ سمت الصديقين فيستحق وصف الصديقين وثوابهم، ولعله لم يقل فى الصديق بلفظ يكتب إشارة إلى أن الصديق من جملة الذين قال الله فيهم **(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين)**[3]

صديقاً: صيغة مبالغة، والمراد به فرط صدقه حتى يصدق قوله عمله، والتنكير فيه للتفخيم، والتعظيم أى بلغ فى الصدق غايته ونهايته. وذكر الرجل تغليباً والمراد والمرأة؛ لأن النساء شقائق الرجال،. كأن الصدق مازال يبزغ ضوءه فى سلوك هذا الإنسان وما يصدر عنه حتى يأخذ سمت الصديقين، وكأن هذه الكوكبة لهم صفات وشمائل خاصة تُعرف بها وطباع واحدة غير خافية ولا ملتبسة على أحد.

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى ص ٤٠٥

(٢) سورة الانفطار آية ١٣

(٣) سورة النساء آية ٦٩، انظر عمدة القارئ جـ ١٨ ص ١٩٧

كما رغب الرسول –ﷺ– فى الصدق، وشوق إليه حذر أيضاً من الكذب ونفر منه، فقال:،"**إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار**".

وهذا التحذير بعد التوكيد والتقرير للأمر بالصدق، والأمر بشيء يستلزم النهى عن ضده –كما يقول الأصوليون– لكنه لما كان الأمر بالصدق بالصدق أمراً فى غاية الأهمية، اتبعه بأسلوب التحذير هذا فقال: " إياكم والكذب " مبالغة فى تحرى الصدق، بألا تقربوا الكذب ولا تحوموا حوله، فهو من أكبر الكبائر، وهو ينبوع الرذائل، وأساس الشر كله، به يصرف الإنسان عن البر، ويبعد عن الخير حتى يكتب مع الفجار، ويكون مصيره النار وبئس المصير.(١)

والواو فى قوله: " **وإن الكذب يهدى إلى الفجور** " عاطفة عطفت هذه الجملة وما عطف عليها على جملة " **إن الصدق يهدى إلى البر** " وما عطف عليها والجملتان خبريتان لفظاً ومعنى مع وجود الجامع وهو التضاد بين المسندين والمسند إليهما فالوصل هنا للتوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال.(*)

وإذا كان الصدق يهدى النفس إلى البر، فإن الكذب هو شيطانها المريد الذى يهدى إلى الأهواء المضلة والشرور المحضة، ويفجر فى أعماقها الفجور وهو اسم جامع لكل شر، والفجور يهدى إلى السبل الموصلة لجهنم والعياذ بالله مصداقاً لقوله: **(إن الفجار لفى جحيم)**، ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير فى لفظتى " الكذب والفجور " للتنفير من هذا الوصف الذميم.

" **يُكتب عند الله كذاباً** ": أى يحكم له بذلك، والمراد إظهاره للمخلوقين بأن يلقى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم وإلا فحكم الله أزلى. فالمعنى يستحق وصف الكذابين وعقابهم.

ولهذا إذا بزغ الكذب فى سلوك الإنسان وما يصدر عنه أخذ سمت الكذابين وشمائلهم، وكأن لهم صفات واحدة غير خافية ولا ملتبسة على أحد.

---

(١) بلاغة ضروب التوكيد فى أحاديث الترغيب والترهيب د / رجب محمد سالم ص ٢٩٦.

(*) التوسط بين الكمالين موضع من مواضع الوصل بأن تتفق الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى مع وجود الجامع والجملتان هنا خبريتان لفظاً ومعنى والجامع بينهما التضاد لأن الصدق ضد الكذب، والبر ضد الفجور، والجنة ضد النار.

" كذابا " صيغة مبالغة على وزن فعال لمن يكثر منه الكذب ويتكرر حتى يُعرف به، ونلاحظ أن الصفات فى الحديث يهدى بعضها إلى بعض فالصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وكذا فى المقابل الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار.[1]

والحديث فيه الكثير من قوة البيان وغزارة المعانى، فقد قام على المقابلة المعنوية البديعة بين الصدق والبر والجنة، والكذب والفجور والنار، فهو يتناول ضربين من ضروب الأخلاق استوفى فيها أحوال الطرفين فقد استوفى الكلام فى الصدق، ثم انتقل واستوفى الكلام فى الكذب، وجعل المقابلة هى جوهر البيان وقدم الأفضل فى الكلام على الأسوأ.

وفى قوله: " **عليكم بالصدق** " أمر بالتمسك بالصدق والالتزام به كما أمرنا الله ﷻ بقوله: " **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** "[2].

والحديث الشريف يتطابق مع الآية القرآنية ووجه المطابقة ظاهر هو أن الصدق يهدى إلى الجنة، والآية فيها الأمر بالكون مع الصادقين، والكون معهم أيضا يهدى إلى الجنة .

ويؤخذ من الحديث

- الحث على تحرى الصدق والالتزام به.
- والتحذير من الكذب والتساهل فيه، فإن تساهل فيه كثر منه فعرف به واعتاده وبناء عليه يستحق وصف الكذابين وعقابهم.

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى بتصرف ص ٤٠٧.
(٢) سورة التوبة آية ١١٩.

أحاديث كظم الغيظ
والصبر على البلاء والمرض والأذى

١- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(١) رواه البخارى ومسلم.

وفى رواية أخرى

عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « **مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ** ». **قَالُوا الَّذِى لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ « لاَ وَلَكِنَّهُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** »(٢). (٣)

معنى الحديث:

يقول الرسول ﷺ أنتم تعتقدون أن الصرعة الممدوح الفاضل هو ذاك الرجل القوى الذى لا تصرعه الرجال، بل يصرعهم فَقَلَ من يقدر عليه، ولكن الأمر ليس كذلك، بل من يملك نفسه عن الغضب هذا هو الرجل الممدوح الفاضل الذى ينبغى أن يتخلق بخلقه ويشارك فى فضيلته.

وفى الحديث إغراء على الحذر من الغضب فقد مدح النبى -ﷺ- من يكظم غيظه، ويملك نفسه عند غضبه.

كما مدح الله تعالى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فى غير موضع من كتابه قال سبحانه {**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}(٤)

وفى الآية مدح المتقين الذين وصفهم الله بهذه الأوصاف، ومن الذم عدم كظم الغيظ الذى هو عين الغضب، والغضب لا يمكن للإنسان دفعه غالباً، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه، فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرمة التى يقتضيها

---

(١) صحيح البخارى كتاب الأدب باب الحذر من الغضب، وصحيح مسلم كتاب البر والأدب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب.

(٢) تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول لأبى الربيع الزبيدى جـ ٣ ص ٢١٥

(*) **اللغة: الصُرَعة** بضم الصاد، وفتح الراء؛ الذى يصرع الرجال كثيراً بقوته، والهاء للمبالغة فى الصفة كالحفظة بمعنى كثير الحفظ. الصَرْعة: بفتح الصاد وسكون الراء عكس المعنى أى من يصرعه غيره.

(٣) فتح البارى جـ١٠ صـ٥٩٢.

(٤) سورة آل عمران آية ١٣٤

الغضب، فمتى منع نفسه كان فى كامل قوته؛ فإن شر الناس من كان صريع شهوته وغضبه.

بلاغة الحديث:

الحديث من الكلم الجامعة التى هى حكمة البلاغة، فيه إيجاز بليغ حيث تضمن معان كثيرة من خلال ألفاظ يسيرة، والبلاغة الإيجاز، وهو أيضاً نموذج من نماذج التصوير الفنى بالوصف (١).

بدأ الحديث بنفى الشدة عمن يصرع الرجال، وإثباتها لمن يملك زمام نفسه عند الغضب.

فى قوله: " **إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** " الجملة – الاسمية تدل على الدوام والثبوت. وعبر بالاسم الظاهر بدلا من الضمير فقال إنما الشديد بعد قوله ليس الشديد ولم يقل إنما هو للتعظيم والترغيب فى هذا الوصف ويؤيد الإحساس بهذا المعنى القوة، ويملأ النفس رغبة فى التمسك بمقاومة الغضب وفصلت هذه الجملة عن الجملة السابقة لكمال الاتصال بين الجملتين فالثانية من الأولى بمثابة التوكيد المعنوى لاختلاف مفهومها وكون الثانية منهما مقررة للأولى والجملة فيها أسلوب قصر طريقه " إنما " وإنما أفادت معنى القصر لتضمنها معنى " ما، وإلا " أى ما الشديد إلا هذا الذى يملك نفسه عند الغضب.

ومعنى هذا أن الشدة تكون فى الناس بمعان كثيرة منها الشدة بالمال، والشدة بالأهل والولد، والشدة بالقوة البدنية، والشدة يصرع الرجال.

فأنزل جميع هذه الصفات التى تكون بها الشدة أو تدل عليها منزلة العدم، وكأنها لا وجود لها، وهذا الذى يملك زمام نفسه عند الغضب هو أشد الناس وأقواها، ولهذا قصر النبى ﷺ صفة الشدة على ذلك الإنسان الذى يملك نفسه عند غضبه،لأنه قهر أقوى أعدائه بمجاهدة نفسه، ومجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو فهى قتال بغير سلاح،ولهذا قال النبى ﷺ بعد رجوعه من إحدى الغزوات " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ".

(١) التصوير الفنى فى الحديث د/ محمد الصباغ صـ٤٩١.

فهو قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً إدعائياً للمبالغة على نحو قوله –ﷺ– « **لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ** »

إنه معنى يستحق أن يؤكد بالقصر فتخصص فيه الشدة والقوة لمن يملك نفسه عند الغضب، وتنفى عما سواه، لأن إنما لإثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما سواه، فأثبت له صفة الشدة(*) ونفاها عن غيره.

وهو أمر وإن لم يكن معلوماً فهو مما ينبغى أن يُعلم، ولذلك استعمل معه "**إنما** "، ومما هو معلوم أن أحسن مواقع إنما فى التعريض، والكلام هنا لم يتجه إلى شخص بعينه تعريضاً بكل شخص غضوب لا يستطيع أن يملك زمام نفسه، وتحذيراً لمن هو مثله.

وفى الرواية الثانية استخدم أسلوب القصر بطريق العطف " لكن " وهو أصرح وأوضح طرق القصر للنص فيه على المثبت والمنفى تأكيداً لمضمون الكلام(١)، فذكر مع " لكن " ما نفى عنها وما أثبت لها ليكون ذكرهما معاً آكد للأفهام، وأشد تقريراً للمراد، والمعنى المذكور هنا والمستدرك عليه بالأداة من الأمور التى ثبت فى العادة مفهومها الخاطئ عند الناس، ولها مفهوم صحيح يقابله، ولذلك فالعبارة تنفى الخطأ وتثبت الصواب فهو أقرب لقصر القلب، لتصحيح المفهوم وتقريره بإبطال معتقد المخاطب.

ولهذا فقد عرف المسند إليه بالموصولية بقوله: الذى يملك نفسه عند الغضب، وذلك لتنبيه المخاطب على خطأ وقع منه، أى ظننتم أن الشديد أو الصرعة هو الذى يصرع الرجال، وأنتم مخطئون فى هذا الظن، بل إنه من يملك نفسه عند الغضب.

فعبر بالاسم الموصول لبيان خطئهم فى ظنهم هذا، والعناية بإبراز ما فى الصلة من معان، لأنها ذات قيمة فى سياق الكلام.

(*) بين البلاغيون أن مقام **إنما** فى القصر أن تدخل على شيء معلوم أو من شأنه أن يكون معلوماً تقول: إنما هو أخوك، وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم كما فى هذا الحديث لا دعاء ظهور ذلك الأمر أحسن موقع إنما التعريض بلازمة العبارة. لباب المعانى د/ محمد شرش صـ٧٣.

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص صـ١٨٦.

وفيه من التنبيه ما ليس فى قوله: الشديد يملك نفسه عند الغضب والفعل ملك يدل القوة والشدة والتحكم والسيطرة على النفس كما يتصرف المالك بقوة فيما يملك وخص الغضب لأنه جماع الشر كله وأساس كل رذيلة فيرغب صاحبه فى مقابلة السيئة بمثلها ولهذا كانت مقاومته فضيلة.

وفى التعبير بـ " الصرعة " مجاز.

أصل " **الصرع** " الطرح على الأرض نُقل هذا اللفظ من معناه الموضوع له فى اللغة لضرب من التوسع والمجاز إلى معنى آخر وهو الشخص الذى يملك زمام نفسه عند الغضب؛ لأنه إذا ملكها كان كأنه قهر أقوى أعدائه وألد خصومه، ولهذا قيل أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك.

فقد اشتمل الحديث على استعارة تصريحيه، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ، وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه، وصرعها بثباته كان كالصرعة الذى يصرح الرجال ولا يصرعونه.(١)

فقد شبه النبى ﷺ من يملك نفسه عند الغضب بالصرعة الذى يصرع الرجال، واستعار الصرعة الذى يصرع الرجال لمن يملك نفسه عند الغضب على سبيل الاستعارة التصريحيه.

ويؤخذ من الحديث:

فضل كظم الغيظ عند الغضب، وإمساك النفس عنه، فهذا من الصفات المحمودة، فالإنسان يبتلى، وابتلاؤه مع درجاته وأجره، فإذا ابتلى بما يبغضه وكظم ذلك، وامتثل قول الله تعالى فى الكاظمين الغيظ، وقول النبى -ﷺ- « **مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ إلى الجنة** »(٢).

فهو حرى بكل فضل مما جاء به الحديث.

عن سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ رضي الله عنه **قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِىِّ** ﷺ **فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِىُّ** ﷺ « **إِنِّى لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ**

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان صـ٥٧٦، لسان العرب مادة صرع.
(٢) رواه الترمذى وأبو داود ٤٧٧٧

عَنْهُ الَّذِى يَجِدُ ». فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِىِّ ﷺ وَقَالَ تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَقَالَ أَتُرَى بِى بَأْسٌ أَمَجْنُونٌ أَنَا اذْهَبْ. (١)

وأخرجه مسلم

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-«إِنِّى لأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِى يَجِدُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». فَقَالَ الرَّجُلُ وَهَلْ تَرَى بِى مِنْ جُنُونٍ. (٢)

المعنى:

" **استب رجلان** ": تشاتما

تخاصم رجلان فى مجلس رسول الله -ﷺ- فسب أحدهما صاحبه فغضب الرجل وأحمر وجهه فأمره النبى ﷺ بأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن الاستعاذة هى أقوى سلاح لدفع كيد الشيطان، وذلك لأن الغضب مذموم، وهو من وسائل الشيطان لإحداث الفرقة بين المؤمنين، وإشاعة الفحشاء والمحرمات بينهم.

والشيطان يقوى الغاضب ويخرجه عن اعتداله، فيتكلم بالباطل ويرتكب المذموم، وينوى الحقد والبغضاء فيبعده عن رضا الله، فعلى الغاضب أن يستعيذ بالله ويعالج غضبه بالوضوء، لأن الغضب من الشيطان والوضوء فيه استكانة وتعبد لله.

ولهذا قال -ﷺ- (إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار، وإنما يطفئ النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) (٣)

بلاغة الحديث:

" **إنى لأعلم كلمة** " جملة مؤكدة بعدة مؤكدات " إن، و اسمية الجملة، واللام " الرسول ﷺ يواجه بهذه الصفة المؤكدة أمراً هاماً ليبلغه لهذا الرجل فأراد أن يبين أهمية هذا الأمر وخطره.

---

(١) صحيح البخارى باب الحذر من الغضب جـ ٢، ٣٠٢

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ج١٦ ص١٣٨،
رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

عبر بقوله " كلمة " والاستعاذة كلمات وليست كلمة واحدة فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية أطلق الجزء وأراد الكل، والتعبير بالجزء للفت الانتباه وتنبيه الأذهان إلى قيمة هذه الكلمة وعظمتها. كما يفيد أن الاستعاذة فى حكم الكلمة الواحدة فلا يجوز حذف حرف منها أو تبديله

" **كلمة** ": التنكير أفاد التعظيم والتفخيم،أى كلمة عظيمة فى قدرها والنكرة فيها إبهام يفيد التشويق، والعموم والإبهام يثير فى النفس تطلعاً إلى بيان هذا المبهم، فإذا جاء ما يبينه كان أوقع وأمكن فى النفس وأثبتت، لأنه ورد عليها بعد تهيئة واستشراف، وليس إعلامك الشيء بغتة كإعلامك بعد التهيئة له.

" **لو قالها** " لو: شرطية، قالها: فعل الشرط، والشرط يزيد الكلام توكيداً، جواب الشرط لذهب عنه الذى يجد.

وروعة التعبير بالاسم الموصول وما يكتنفه من غموض، لإفادة التعظيم أى لذهب عنه هذا الغضب الكثير العظيم، فقال لذهب عنه الذى يجد، ولم يقل: لذهب عنه الغضب، لأن الرجل فى حالة غضب فهو متلبس به، هكذا كانت جملة الشرط كالعلة فى حصول الجواب وترتيب الجزاء فصلت جملة " **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** " عن جملة إنى لأعلم كلمة، لأن هذه الجملة إيضاح وبيان للكلمة فهى بمثابة البدل منها، وهذا الفصل كما يقول البلاغيون أشد اتصالا من الوصل نفسه فالجملة الثانية هى الجملة الأولى، والمعول عليه فى إدراك الوحدة بين الجملتين هو العقل الذى أدرك أن الجملة الثانية مفسرة للأولى وموضحة لها ومبينة فالفصل لكمال الاتصال بين الجملتين واتحادهما اتحادا تاما بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة منها فيهى بدل منها.

فقال الرجل: وهل ترى بى من جنون ؟

بهمزة الاستفهام على سبيل الإنكار أى أتظن بى بأمس أى مرض شديد. وفى رواية " أمجنون أنا " الهمزة للاستفهام الإنكارى، وقدم الخبر "**مجنون**" على المبتدأ "**أنا**" لغرض العناية والاهتمام بإنكار الغضب ونفيه.

"**اذهب**" أمر من هذا الرجل الغضبان إلى ذاك الرجل الذى أمره بالتعوذ من الشيطان، والمعنى: انطلق فى شغلك، وهو يدل على شدة غضب الرجل وعدم قبول هذا الكلام.

وهذا كلام من لم يفقه فى دين الله، ولم يعرف أن الغضب نزغ من الشيطان، قال تعالى **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**(١) فتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجانين.

ولعله كان من جفاة الأعراب، أو منافقاً أو أن شدة الغضب أخرجته عن حيز الاعتدال.(٢)

وهكذا فالغضب جماع كل شر – عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله ".(٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. قَالَ «أَجَلْ إِنِّى أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ ». قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ « أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(٤).

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٠.

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم جـ ١٦ ص ١٤٠.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه البخارى، كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وصحيح مسلم باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض.

اللغة: " يوعك ": وعك الرجل يوعك فهو موعوك، والوعك ألم الحمى وتعبها، وحرها، وشدتها، وقيل هو إرعاد الحمى وتحريكها إياه.

قال بن سيده: الوعك الألم يجده الإنسان من شدة التعب. ذلك إشارة إلى تضاعف الحمى. لسان العرب مادة وعك، فتح البارى جـ ١٠ صـ١٢٨.

" يصيبه ": أصل المصيبة الرمى بالسهم ثم استعملت فى كل نازلة وأصاب يستعمل فى الخير والشر لقوله تعالى: **{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ}** سورة التوبة الآية ٥٠ ، وقيل الإصابة فى الخير مأخوذة من المطر الذى ينزل بقدر الحاجة من غير ضرر، وفى الشر مأخوذة من إصابة السهم، وقيل المصيبة فى اللغة ما ينزل بالإنسان مطلقاً، وفى العرف ما نزل به من مكروه خاصة، وهو المراد هنا. اللؤلؤ والمرجان ص ٥٧٠.

معنى الحديث:

يوضح لنا الحديث أن عيادة المريض واجبة على الأصدقاء والأقارب والجيران للائتناس بهم والتخفيف عنه، وهذا ابن مسعود يعود النبى -ﷺ- فى مرضه، وهو مصاب بآلام الحمى فيشعر معها المريض بحرارتها وشدة وقعها فتنهك جسده، وتحطم أعضاءه، فيتفصد جسده عرقاً، ويصبح الجسد كأنه قطعة من نار ملتهبة.(١)

ويبين الحديث أن المرض إذا اشتد تضاعف الأجر ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهى إلى أن تحط السيئات كلها.

بلاغة الحديث:

" يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً "

وهذا أسلوب نداء استخدم " يا " فى نداء رسول الله -ﷺ- مع أنه قريب من المنادى وهو ابن مسعود، و "يا "حرف موضوع لنداء البعيد، وذلك لعلو شأنه، وبُعد مكانته، وارتفاع منزلته فنزل بعد المكانة منزلة بعد المكان، واستخدم آداة البعيد فى نداء القريب.

وهذا استفهام من ابن مسعود جاء فى صورة الإخبار، وأكد كلامه بإنك للتخصيص أى تخصيص النبى شدة المرض لأنه مخصوص بكمال الصبر، كأنه يؤمن على ما رأى من مرض رسول الله -ﷺ-، وأن مرضه واضح للعيان لا يقبل شكاً ولا ريباً.

ويجب -ﷺ- قائلاً:" إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم "، وفى إجابة النبى -ﷺ- أن ما أصابه من حمى يعدل ما يصيب رجلين أى أن الحمى شديدة على نفسه، ولا يكاد يتحملها رجل واحد، بل هى لشدتها لا يتحملها إلا رجلان.

فشبه النبى -ﷺ- ما يصيبه من وعك بما يصيب رجلين، والمرض الشديد يقابله أجر عظيم، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.،وذلك لأنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب (٢)

---

(١) الرسول ﷺ واعظا وبليغا صـ٢٥٣.

(٢) صحيح مسلم شرح النووى جـ١٦ صـ١١٠.

ذلك أن لك أجرين: أى ذلك الوعك المضاعف، لأن أجرك مضاعف،وقدم الجار والمجرور المسند " لك أجرين" أى لا لغيرك، لإفادة القصر لتخصيصه بالمسند إليه، قصر مضاعفة الثواب على النبى –ﷺ– وزيادة العناية والاهتمام بمن يعود عليه الأجر.

ويجيب –ﷺ– بقوله: " **أجل** " أى أن مضاعفة الأجر لمضاعفة البلاء.

ثم يؤكد البيان النبوى –ﷺ– بمؤكدين " الحرف الزائد، والقصر " فيقول: " ما من مسلم يُصيبه أذى "

" **من** " الزائدة لتأكيد العموم لوقوعها بعد النكرة وأداة النفى، ثم بالقصر ثانياً، وتأكيد العموم لا يستثنى منه احد مصاب بمصيبة كل مصاب تكفر سيئاته، وهو تأكيد يملأ النفس بالطمأنينة إلى الله ﷻ فيما قضى وفيما قدر، وهو يقتضى أن يكون كل فرد من أفراد مصائب المؤمن ثمناً لتكفير سيئة من سيئاته، ومع هذا التأكيد حصل القصر، وهو يؤكد الكلام أيضاً.

حيث حصر وقصر ما يصيب المؤمن على تكفير السيئات، واختصاص تكفيرها به حتى لا يوجد فرد مما أُكد شموله خارج هذه الغاية التى قصر عليها مادام المؤمن صابراً محتسباً. وذكر المسلم تغليبا والمراد ما من مسلم ولا مسلمة

" **أذى** ": التنكير فيه للتقليل لا للجنس ليصح ترتيب ما فوقها فى العظم وما دونها فى الحقارة، وفى الكلام إيجاز بالحذف حيث حذف ما هو مفهوم من السياق وهو " ما دونها ".

" **شوكة** ": مرفوعة لأنها بيان لأذى، فهى توضح الأذى حتى ولو كان بأقل القليل وهو شوكة يشاكها المؤمن، ولذلك فصلت عن أذى ولم تعطف عليه، لأن البيان والمبين كالشيء الواحد.

" **سيئاته** " جمع مضاف يفيد العموم، ويلزم منه تكفير جميع الذنوب صغيرها وكبيرها فشدة المرض تضاعف الأجر.[1]

(١) الرسول ﷺ واعظا وبليغا صـ٢٥٤.

وفى قوله: " **كما تحط الشجرة أوراقها** " صورة بيانية رائعة مبنية على التشبيه الدقيق المصيب الذى يبين مدى الثواب الذى يثيب الله به عبده المسلم فيما يصبه من مرض فما سواه، والتشبيه يشرح كيفية تكفير السيئات.

فالمؤمن المصاب يسقط الله عنه ذنبه ويكفر سيئاته كما يسقط عن الشجرة أوراقها،فشدة المرض تضاعف الأجر حتى ينتهى إلى إسقاط السيئات كلها، كما تهب الريح فتسقط أوراق الشجرة اليابسة ورقة ورقة حتى تخلوا من جميع أوراقها ويحدث هذا فى فصل الخريف، فشبه الشيء المعنوى بشيء حسى واضح للعيان نراه دائماً فى ذلك الوقت ولا ينكره أحد.

وما جاء فى حديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « **لاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ فِى جَسَدِهِ وَفِى مَالِهِ وَفِى وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ** ». يؤكد هذا الكلام.(١)

وفى إسناد الفعل " **يكفر** " إلى الله ﷻ يدل على مدى عناية الله ﷻ وحفاوته بهذا العبد المؤمن.

ولا تخفى الدقة فى اختيار المشبه به " **الشجرة** " وما بينها وبين المسلم من تناسب، وقد كثر تشبيه الشجرة والنخلة بالمسلم.

وتشبيه المؤمن بخامة الزرع وكأنه ناظر إلى ما فيه من نفع لحياة الإنسان، أو أنه يرجى خيره دائماً فى كل حال.

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الْوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الْوَرَقُ فَقَالَ « **إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** »(٢).

هكذا كان المرض والمصائب سبباً لتناثر الخطايا والسيئات كما تتناثر أوراق الشجرة اليابسة.

❁❁❁

(١) فتح البارى جـ ١٠ صـ١١٢، أخرجه الإمام أحمد فى مسنده.
(٢) أخرجه الترمذى فى الدعوات.

٤- عَنِ عَائِشَةَ -رضى الله عنها- قَالَتْ: جَاءَتْنِى امْرَأَةٌ ومَعَهَا ابْنَتَانِ لها فسألتنى، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِى شْيئا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إياها، فأخذتها فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ولم تأكل منها شيئا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وابنتاها، فَدَخَلَ على النَّبِىُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ « مَنْ ابتَلِى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ »[1].

نعلم أن الجاهلية عرفت بوأد البنات خشية عار أو إملاق، وجاء الإسلام يرفع شأن الحياة عامة والمرأة خاصة، ويصعد معانى الخير ويعطى القيم مكانها لينتظم الوجود. دخلت على السيدة عائشة هذه المرأة، ومعها ابنتان لها تسأل عطاء، فلم تجد السيدة عائشة رضى الله عنها غير تمرة واحدة فأعطتها إياها فقسمت السائلة التمرة بين ابنتيها، وذلك لما زرع الله فى قلب الوالدين من الرحمة، وفى قلب الأم من الشفقة والحنان

هذه قصة صغيرة لكنها عجيبة من جهتين:

١ – أنها تبين بالتطبيق العملى ما كان بيت النبى -ﷺ- يحققه من القدوة للمؤمنين فيتخفف من زاد الدنيا حتى لا يوجد فيه لأهله وللسائل غير تمرة.

٢ – إنها تقرر بقوله -ﷺ – كن له ستراً من النار ما تقرر من عظيم المعنى.

فابتلاء من الله أن يولد لإنسان بنت فى ذلك الوقت السابق على الإسلام، وابتلاء من الله أيضاً أن يولد لإنسان بنت فى ذلك الوقت الذى نزلت فيه أحكام الإسلام، وابتلاء من الله أن يولد للإنسان بنت فى هذا الوقت الذى نعيش فيه كذلك.

أما أولاً: فيكفى أن يصور ذلك القرآن الكريم بقوله: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}**[2]

---

(١) صحيح البخارى جـ ٣ ص ٢٢٥ كتاب الأدب.، صحيح مسلم كتاب الأدب، باب فضل الإحسان إلى البنات جـ ١٦ ص ١٥٣.

(٢) سورة النحل آية ٥٨، ٥٩

وأما ثانياً: فلاتصال هذا الزمن بما قبله، ولتأصل تلك العادات وصعوبة التحول حساً ومعنى دفعة واحدة.

وأما ثالثها: فلما يحس به كل والد ووالدة من أن البنت أشد حاجة للرعاية، وأعظم كلفة فى اليقظة لما يناط بها من الشرف ويتمثل بها من الكرامة.

لهذه المعانى كان التعبير الكريم مصوراً كل التصوير "**من ابتلى**" والشرط " **من** " يفيد العموم، ليشمل كل من ابتلى من البنات بشىء وكذا كلمة " شيء " لعموم الشيء والتنكير للتقليل ابتداء من أقله وهو الواحدة فهو قليل ولكن جزاءه عند الله عظيم.

والتعبير بالماضى فى قوله "**ابتلى**" للإطلاق ليشمل الحاضر والمستقبل، ويكثر هذا فى الحديث الشريف عقب أداة العموم إشعاراً بأنه من الأمور التى تتحقق فى الوجود كثيراً فكلمات وجدت كان حكمها هو المذكور بعدها.

والابتلاء هو الاختبار فى الخير والشر، ويجوز أن يكون النبى عبر بها جريا على مألوف الناس لموضع الكراهية للبنات، والمراد: من كان حظه هكذا فأحسن إلى ما رزقه الله من هذا الجنس الجدير بالإحسان جاعلاً الحب مكان البغض، والاستبشار مكان الإنكار، وحسن الصحبة محل سوء العشرة، والتأديب بأدب الإسلام، والتربية بخلق القرآن، من كان لهن كذلك فى الدنيا كن له " **ستراً من النار** " فى الآخرة.

والإحسان يكون بالطعام والسقيا والإيواء والكفالة والرحمة وأن يتقى الله فى أمرهن وحسن المعاملة لهن – سر تقديم قوله : " من هذه البنات " تعجيلا بالمهم حيث قدم البيان على المبين ثم نكر المبين للتقليل.

ودلالة الإشارة لتمييز المشار إليه اكمل تمييز بتعظيمه بالقرب.

وعبر بقوله: ستراً، ولم يقل أستارا، لأن المراد الجنس الشامل للقليل والكثير.[1]

والستر هو الحائل الحاجب ما وراءه، والفاصل بين ما هنا وما هناك، فما هنا هو الذى أحسن إلى ما رزقه الله من البنات، وما هناك هو نار جهنم بحر

(١) اللؤلؤ والمرجان صـ٥٨٠، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية بتصرف صـ١٤٦

هاو وشرها، وإنسان ضعيف كل الضعف واجف القلب مرتعد الفريصة فى موقف هو له خطير وشرره يطير، كم تعلق النفس بالساتر الواقى وكم تتأكد الرغبة فى الحامى الشفيع وكم يكون ذلك الساتر الحامى حبيباً عظيماً كريم الصنيع.(١)

إن هذه البنت التى أحسن أبوها إليها بما سلف فأحسن الله إليهما بها حجاباً بينهما وبين النار.

ثم أن سقوط حرف التشبيه لا يجعل البنات شيئاً، والستر شيئاً آخر فيهز الثقة ويضعف الأمل، بل يجعلهما شيئاً واحداً كما هو الأصل فى المسند إليه ومسنده فى الجملة الاسمية حيث قال:"**ستراً**" ولم يقل كالستر، بالإضافة إلى الوصف بالمصدر فى قوله سترا، ولم يصف باسم الفاعل أو الصفة الصريحة فيقول: "**ساتراً**" ولا شك أن الوصف بالمصدر أكثر مبالغة من الوصف بغيره، لأنه يجعل الموصوف كأنه مخلوق من ذلك الفعل لتكراره منه أو اعتياده عليه فكأن كل بنت ستر لأبيها من النار، وهذا الأمر يؤدى إلى توكيد الترغيب فى الإحسان إلى البنات، والرغبة فيهن، إنه ترغيب عظيم فى الرضا بالنبات، والإحسان إليهن نقل الإحسان بهن لحماً ودماً إنسانياً وصورة جميلة من البشرية إلى الإحساس بهن ستراً حصيناً حامياً، يقف بين النار وهولها والأجسام الضعيفة وخوفها.(٢)

❁❁❁

٥- عن عَائِشَةُ رضى الله عنها قالت: أن رجلا استاذن عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَ «ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ». فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلاَنَ لَهُ الْقَوْلَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْتَ لَهُ الَّذِى قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ قَالَ «

(١) ينظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية بتصرف ص ١٤٥
(٢) ينظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية بتصرف ص ١٤٦.

يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ »[1]

هذا الحديث جزء من حديث طويل يحكى قصة أحد الزائرين لرسول الله –ﷺ– وموقف الرسول منه.

ويحتوى الحديث على حوار دار بي الرسول –ﷺ– والسيدة عائشة رضى الله عنها حول موقف الرسول من رجل استأذن فى الدخول عليه –ﷺ– فقال مخبراً بما عليه الرجل من سوء الخلق بئس أخو العشيرة، وهذا أسلوب يفيد الذم، فلما دخل الرجل انبسط إليه الرسول –ﷺ– ورحب به وآلان له الكلام هذا الموقف جعل السيدة عائشة تتساءل متعجبة من موقف الرسول –ﷺ– تجاه هذا الرجل، كيف يقول فيه كذا ثم ينبسط إليه ويستقبله ولم يظهر بغضه له وعدم رضاه عنه ؟ كأنها –رضى الله عنها– استبعدت أن يحدث هذا من رسول الله –ﷺ– فبادرها النبى –ﷺ– بهذا السؤال: يا عائشة متى عاهدتنى فاحشاً ؟ " إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه "[2]

معنى الحديث:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأدب باب مداراة من يتقى فحشه. جـ ١٦ ص ١٢٣، فتح البارى كتاب الأدب باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد جـ ١٠ ص ٥٣٧.

(٢) انظر القصة كاملة فى عمدة البارى شرح صحيح البخارى، للبدر العينى جـ ١٨ ص ١٥٧، قيل هذا الرجل هو مخرمة بن نوفل، وقيل عيينه بن حصن بن حذيفة الفزارى كان يسمى بالأحمق المطاع لأنه كان رئيس قومه وقد كان الرسول يتألفه ليسلم قومه فرح الرسول (ص) بإقباله عليه قبل أن يسلم، وترك حديثه مع ابن أم مكتوم فأنزل الله ﷻ **{عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى}** .

اللغة: بئس رجل العشيرة أو ابن العشيرة: العشيرة هى الجماعة أو القبيلة، بئس هذا الرجل منها ذم له. صحيح مسلم جـ١٦ صـ١٢٣.

ودعه: تركه وقد ذكر النحاة أن العرب قد أماتوا مصدر الفعلين" يدع ويذر" وماضيهما وقد جاء ماضى " يدع " فى هذا الحديث شكاً لا حزماً، والصحيح أن ذلك جائز، لكنه استعمال نادر. فتح البارى جـ١٠ صـ٥١٨. =

= اتقاء فحشه: توقياً وتجنباً لآذاه وأفحش عليه فى المنطق قال الفحش، وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، فالفحش والفحشاء والفاحشة كل قبيح من القول والفعل وجمعها فواحش. لسان العرب مادة فحش.

فى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله –ﷺ– إن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس و وادعوه وفارقوه لا لأنه لا خير فيه ولا نفع يرجى من ورائه، بل اتقاء شره وبعداً عن ضرره وبغيه فهم لا يأمنون على أنفسهم إذا كاشفوه وواجهوه وأسدوا إليه النصح رغبة فى إصلاحه وتقويم سلوكه، فهو وباء على المجتمع لا يتورع عن مأثم ولا يبتعد عن إساءة والسلامة فى مجانبته وتركه ومسالمته لكل هذا فهو أسوأ الناس منزلة يوم القيامة وفى الدرك الأسفل من النار محروم من رحمة الله لقوله –ﷺ– " **الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها** "(١)

ولا شك أن هذا التدنى الأخلاقى يأباه الإسلام فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأسرارهم فخلقه الوفاء والإخلاص.

الصور البلاغية :

هذا الحديث من الهدى النبوى الكريم يتسم بالإيجاز، والبلاغة الإيجاز وفى الوقت نفسه يحرص على إسداء النصح لعامة المسلمين حتى يهذبوا من سلوكهم ويبتعد واعما يبغضهم وينفر الآخرين منه لقائهم ومجالستهم، وقد اعتمد الحديث على الأسلوب الخبرى فى تصدير الحكم بأداة التوكيد "**إن**" ليزيل أى شك لدى السامعين فى تدنى منزلة أصحاب هذا الخلق المشين وشناعة مسلكهم.

وصدر الحديث بصيغة التفضيل العامة تدل على عظم العقاب لإثارة النفس وتشويقها لمعرفة ذلك الخاسر فإذا تم الكلام بالخبر بعد التطلع إليه مدت له البصر تقيس أعمالها بمقياسه حتى تجانب ما عساها أن تكون قد لابسته من صفته وأيضاً للاهتمام البالغ بالتحذير والترهيب منه، والتشهير بذوى المظاهر الخادعة الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، ويضمرون بين جوانحهم الخبث والحقد والكراهية وهذا أمر ينبغى أن يتأكد فى نفوس المؤمنين، وقد صحب ذلك التأكيد أنواعا من التخصيص تشعر بتشديد العقوبة تأكيداً لشناعة هذا الإثم منها:

(١) اتحاف السادة المتقين جـ٧ صـ٤٧٨ .

التقييد بالظرف المكانى والتقييد بالظرف الزمانى، الأول فى قوله " عند الله " الذى يملك المجازاة فى ذلك اليوم، الثانى قوله " يوم القيامة " الذى لا يكون الملك فيه لغير الله فلا يقدر من يدعى ملكاً فى الدنيا أن يدعى فيه شيئاً.

كل هذه الخصائص المحيطة بالحكم فى الزمان والمكان جوانب من التأكيد فضلاً عن الآداة المنذرة به تضع من يتركه الناس خائفين من لسانه فى أشنع موقف من الرذيلة فهو أسوأ الناس منزلة وينتظره أفظع العقاب، ولهذا عبر النبى ﷺ بقوله: ودعه الناس وهى أكثر دقة من قولنا تركه الناس لأنها تفيد الترك أى مع الهروب والفرار من هذا الفاحش أو ابتعد عنه، وهى صورة منفرة تصور صاحب هذا الخلق الشنيع وكأن به وباء أو مرض معد يصيب من يقترب منه أو يتعامل معه فيفر منه الناس ويتركونه تخلصاً من بلائه ومما ينالهم إن اقتربوا منه.(١)

بهذه الكلمات المعبرة والمصورة يرسم لنا الحديث صورة شائنة لصاحب هذا السلوك، وهى صورة الإنسان المنبوذ الذى يعيش فى عزلة تحتويه الوحدة وتلفه الحسرة لكراهية الناس لقائه أيضاً قوله –ﷺ- " اتقاء فحشه" لفظة معبرة تجعل الناس تتوارى وتهرب من لقاء هذا الرجل سليط اللسان الفاحش كأنه عذاب يتقيه ويبتعد عنه من يراه، أو نار يتقون لهيبها.

هذا الحديث من أعلام النبوة، لأن رسول الله –ﷺ– أوضح نفاق هذا الرجل المستقر فى قلبه فقد أسلم فى عهد النبى –ﷺ– ثم ارتد بعد موته وحارب المسلمين ثم رجع إلى الإسلام والحديث فى ظاهره إشكال وتناقض يحتاج إلى إيضاح وبيان إذا كيف يذم النبى –ﷺ– شخصاً استأذن فى لقائه ويقول: بئس أخو العشيرة ثم يهش فى وجهه وينبسط له حينما يجلس إليه ؟

أليس هذا تظاهر بغير ما يضمره الإنسان ؟

وكيف يصدر هذا عن النبى –ﷺ– الذى قال فيه القرآن **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**

جواب ذلك: أن الرسول –ﷺ– ما قال ذلك ولا فعله إلا من أجل توجيه الأمة ونصيحة أفردها وتحذيرهم بألا يغتروا بذوى المظاهر الخادعة والنفوس الخبيثة فيصيبهم شرهم

(١) فى رحاب الهدى النبوى بتصرف صـ١١١.

وآذاهم، وهذا دليل على جواز غيبة أهل الفسق والفحش، أما التطلق إليه والتبسط فى وجهه بعد ذلك الذم فهو من باب المداراة (*) لاتقاء شره، وليس من قبيل المداهنة فى الدين التى هى من سوء الخلق. (١)

(*) مداراة الآخرين، الرفق بالجاهل الذى يستتر بالمعاصى وهو لين الكلمة وترك الأغلاط لهم فى القول وهى من أخلاق المؤمنين، أما المداهنة فهى محرمة وهى أن تلقى الفاسق المعلق لفسقه فتؤاً لغة ولا تتكر عليه ولو بالقلب.

(١) فى رحاب الهدى النبوى ص ١١٢ حسن أحمد اكبير.

أحاديث
الترهيب من الظلم
والترغيب فى مجالسة الصالحين، وحكمته -ﷺ- فى إجابة السائلين.

١- عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعرى -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حتى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1] رواه البخارى ومسلم .

<u>بلاغةالحديث</u> : اعتمد الحديث الشريف على الأسلوب الخبرى فى تصدير الحكم بأداة التوكيد " إن " المكسورة ثم تلاها بعدة مؤكدات هى: اسمية الجملة، اللام، وجملة الشرط.

والأمة تتلقى عن رسول الله -ﷺ- بلاغه الذى يبلغه عن ربه دون حاجة إلى توكيد؛ لأن خبره -ﷺ- خبر المعصوم، لكن جاء الكلام هنا مؤكداً لبيان أهمية ذلك الأمر الذى يتناوله بالحديث، وخطورة شأنه وأنه عند الله بمكان، فالمولى ﷻ قد حرم الظلم على نفسه فقال فى حديث قدسى: " **ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** "[2] أى لا يظلم بعضكم بعضاً فلا يجوز لأحد أن يظلم أخاه؛ لأن الظلم ظلمات يوم القيامة فمن فعل ذلك أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، ولهذا عبر بـ "**إذا**" فى قوله: **إذا أخذه**؛ لأنها تفيد على وجه اليقين والجزم الذى لا سبيل إلى الشك فيه أن الله إذا أخذه بعد الإمهال عاقبه أشد العقاب، ودخول" إذا" على الفعل الماضى مع أن معناها يفيد الاستقبال، لأن الماضى أقرب إلى القطع بوقوع الفعل، بل يفيد أنه وقع وانتهى، وفى ذلك زيادة تأكيد وتحقيق، وعبر بقوله " لم يفلته"

---

(١) صحيح البخارى جـ ٣ ص ١٩٨، سورة هود الآية ١٠٢.

<u>اللغة</u>: ذكر العلماء فى معنى " **يُمْلِي**" يمهل ويؤخر ويطيل له فى المدة وهو مشتق من الملوه بضم الميم وفتحها وكسرها، وهى المدة والزمان، ومعنى **لَمْ يُفْلِتْهُ**: لم يطلقه ولم ينفلت منه. صحيح مسلم شرح النووى باب تحريم الظلم جـ ١٦ ص ١١٧.

وقيل أن المراد من العبارة الشريفة لازمها من قوة التمكن وشدة الانتقام، وعدم رفع الإهلاك عن الظالم إذا شرعت فيه قوة الإله الجبار. فتح البارى جـ ٩ ص ٤٢٥.

وعدم تخليصه أبداً بوجه لكثرة مظالمه حتى الشرك، أو عدم تخليصه مدة طويلة إذا كان مؤمناً عاصياً.

(٢) صحيح مسلم جـ١٦ صـ ١١٢، سنن البيهقى جـ٦ صـ ٩٣.

لتذل على عدم انفلات هذا الظالم وخلوصه من العقاب أبدا، لأن لم للنفى فى الماضى فكانه محقق وهى تنفى الفعل نفياً قاطعاً .

وسر إيثار "يملى" دون " يمهل"

أن " يملى" فيه إعطاء المهلة مع عناية ورعاية أى مع الانعام والافضال بإعطائهم الصحة والرزق والمد فى العمر وهذا إحسان من الله وافضال يوجب الشكر والطاعة ولكن الظالم يجعله سببا فى الظلم والعصيان قال تعالى : ﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ أما يمهل " إعطاء المهلة مع الترك دون عناية ورعاية، والحديث نموذج للتصوير بالموسيقى حيث يوجد فيه : إملاء للظالم وترك له ثم إمساك وعدم إفلات إن هذا التقابل يزيد فى وضوح الصورة ويغرس فى النفس الخوف من الوقوع فى مثل هذه الحالة.

فإن ظلم الإنسان نفسه أو غيره ولم يلق العقوبة الرادعة فليتريث وليفكر ولا يمضى فى طريق الغواية فلربما كان هذا من الإملاء الذى يتبعه إمساك وعدم إفلات.

وبذلك تكون الصورة قد أدت غرضها الدينى وقد اكتمات كل جوانب التأثير: الصورة نفسها والتقابل فى الصورة والتوازن الصوتى والموسيقى المؤثرة» [1].

والحديث الذى معنا من الأحاديث التى تحمل على التأويل فعلى الرأى القائل أن الأخذ والإفلات من لوازم العقوبة يكون الكلام من قبيل الكناية عن صفة العقوبة وشدة الإنتقام، وهذا هو الأولى والأوفق؛ لأن السنة بيان للقرآن والبيان إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلى، والبيان هنا موافق للقرآن ومؤكد له وبيانه وموافقته ظاهرة فى الآية بناء على أن أخذ ربك أى عقاب ربك.

كما يمكن حمل العبارة على الاستعارة التبعية فى الفعل " **أخذ، ويفلته** ".

(١) التصوير الفنى فى الحديث ٥٣٤، ٥٤٢.

فقد شبه إهلاك الله للظالم وشدة انتقامه منه بالسيطرة على المجرم وأخذه للعقاب، واستعار أخذ المجرم وعقابه لا هلاك الله الظالم، واشتق منه أخذه بمعنى يأخذه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى الفعل.

كما يجوز أن تحمل العبارة على الاستعارة التمثيلية فى الهيئة الكلية فقد شبه هيئة المولى ﷻ فى صبره على الظالم وإمهاله له حتى يتمادى ويطغى فى ظلمه، أو لعله يتوب ويرجع عن ظلمه بهيئة اليد القابضة على المجرم بشدة فلا يستطيع الإنفلات منها – تعالى الله عن ذلك علواً – بجامع الهيئة الحاصلة من إطالة المدة ثم الأخذ بشدة وعدم الإفلات، وسر جمال الاستعارة يكمن فى نقل الرسول –ﷺ– للأمر المعنوى وتصويره فى صورة محسوسة، وهى صورة الانتقام من الظالم، وعدم رفع الإهلاك عنه، بصورة المجرم الهارب فى حالة القبض عليه والإمساك به، ولا شك أن تصوير المعنوى فى صورة محسوسة أوقع فى النفس فيتمكن فضل تمكن.

والحديث الشريف يتطابق مع الآية القرآنية ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ (١)

فهو موافق للآية ومؤكد لبيانها. ففيه إمهال للظالم وصبر عليه ثم عقابه عقاباً أليماً. والمراد أى مثل ذلك الأخذ والإهلاك ، والمراد بأخذ القرى (أهلها) وأسند إليها للإشعار بسريان أثره ، ولكمة هى ظالمة حال من القرى وفائدة الحال الإشعار بأن أخذهم بسبب ظلمهم ، وفى ذلك لإنذار الظالم ما لا يخفى ، ووصف القرى بالظلم مجاز مرسل علاقته المحلية لأنها محل لأهلها ، وفى قوله أليم شديد " مبالغة فى التهديد والتحذير" .

---

(١) معنى الآية: كما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التى اقتصصت عليكم نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب على خلافهم أمرى وتكذيبم رسلى وجحودهم آياتى فكذلك آخذ القرى إذا أخذتهم بعقابى وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم وإشراكهم بالله غيره إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم موجع شديد الإيجاع.

انظر جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى جـ ٧ ص ١٣٣ ط ١ دار الفكر العربى.

وفى الآية الكريمة أمر من الله وتحذير لهذه الأمة أن تسلك فى معصيته طريق من قبلها من الأمم الفاجرة فيحل بهم ما حل بها.

۞۞۞

٢- عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قال: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». رواه البخارى ومسلم (١)

المعنى:

الحديث قائم على جانب رائع فى أخلاق المسلم، وفيه إشارة إلى عظم نعمة الأخوة فى الدين وفى الله، والاجتماع على نصرة الحق والتمسك به، فقد تضمن الحديث التحذير من الظلم فينبغى على المسلم ألا يظلم أخاه، ولا يتركه دون نصرة؛ بل يدفع عنه وينصره كما حض على التعاون وحسن المعاشرة بين الناس، والألفة والستر وعدم التشهير بالمسلمين.

فينبغى على المسلم إذا رأى أخاه فى حاجة مادية أو تأييد معنوى أن يسارع إلى تلبية حاجته حتى يخفف عنه وطأة الحاجة، وشدة العوز، ويقيله من عثرته(٢)، ومن أعان أخاه أعانه الله، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه.

---

(١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، كتاب المظالم جـ ٥ ص ١١٧، صحيح مسلم شرح النووى جـ ١٦ ص ١١٥، رواه البخارى بلفظ كرب، ومسلم بلفظ كربات، وهو جمع صحيح

اللغة: يسلمه: أُسلم فلان فلاناً إذ ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو فى كل من أسلم لغيره، لكن غلب فى الإلقاء إلى الهلكة، ومعنى "**لا يسلمه**" لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

فرج: أزال وكشف. **الكُربة:** بضم الكاف، الغم يأخذ النفس وتجمع على كربات وكرب. **ستر مسلماً:** الستر بالفتح مصدر سترت الشيء أستره إذا غطيته فاستتر والمعنى، رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس معنى هذا ترك الإنكار عليه. لسان العرب مادة سلم، كرب، ستر.

(٢) انظر الرسول -ﷺ- واعظاً وبليغاً بتصرف ص ٢٦٣.

بلاغة الحديث:

صدر الحديث "المسلم أخو المسلم" بدأ الحديث بجملة موجزة يشرحها أو يلزمها ما وراءها تأييدا لمدلولها وتقوية لمضمونها لدى المخاطب "[1].

المسلم أخو المسلم: ليس المراد به التشبيه بل هو أمر واقع بينهما فهما شقيقان، وتكرار لفظ "**المسلم**" فى الحديث ليفيد اتفاقهما فى ملة الإسلام، وهى أقوى من أى شيء آخر حتى النسب، فالمسلمون مهما تباينت أعراقهم إخوة فى الإسلام، وهو معنى لا يجوز أن يغيب عن بال الفرد أبداً، فهو يعصم من الظلم والحيف والجور، ويحمل على البر والود والصدق، وهذه الجملة الموجزة جداً "**المسلم أخو المسلم** " تستلزم كل ما وراءها فجميع ما بنى عليها من مستلزمات أخوة المسلم للمسلم هو شرح لها تأكيداً لمدلولها، وتقوية لمضمونها لدى المخاطب، فإذا وجد بين المسلم وأخيه المسلم التآزر، والتعاون، والستر كان الجزاء ما بينه الحديث من عون الله له وستره عليه وتفريج كربه.

" **لا يظلمه ولا يسلمه** ":

فصلت هذه الجملة عن الجملة السابقة لكمال الانقطاع بين الجملتين والفصل لايوهم خلاف المراد لاختلافهما خبرا وإنشاء الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى والثانية خبرية لفظا إنشائية معنى فلا تصح أن تعطف عليها ولذا وجب الفصل [2].

من دلائل أخوة المسلم ألا يظلم أخاه، فيكون بمنأى عن الظلم، ولا يلقى به إلى التهلكة، ولا يتركه مع من يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا تدرج من العام إلى الخاص.

وقد أمرنا القرآن بنصرة المظلوم بقوله: **{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}**[3]

لا يظلمه: من شأنه ألا يظلم أخاه، فهو خبر بمعنى النهى.

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ٤١٠.

(٢) انظر المطول صـ٢٥٢.

(٣) انظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية / والرسول (ص) واعظاً وبليغاً ص ٢٤٣، انظر سورة هود، الآية ١١٣.

" **لا** " نافية فيها معنى النهى، فهى خبرية لفظاً إنشائية معنى، ومجئ النفى أبلغ من النهى كأنه صار حقيقة ماضية، كأنه أراد أن يقول: لا يوجد ظلم بين المسلمين فالمسلم لا يظلم أخاه.

وسبب العدول عن الإنشاء إلى الخبر الحث على سرعة الامتثال.

ونلاحظ أن الجناس ورد فى الحديث عفو الخاطر والبديهة، فجمع بين جمال اللفظ وعظيم المعنى.

" المسلم، يسلمه، يظلمه " حيث يوجد بين لفظتى " المسلم ويسلمه " جناس اشتقاق"(١)

المسلم ": من الإسلام، يسلم: معناه الأذى والوقوع فى التهلكة.

أيضاً بين " **يظلمه** "، و "**يسلمه**" جناس مضارع، حيث اتفق اللفظان فى معظم الأمور (ترتيب الحروف، وعدد الحروف، وهيئة الحروف، واختلفا فى نوع الحروف،الحرف الثانى فى الكلمة الأولى حرف الظاء، وفى الثانية حرف السين مع الاختلاف فى المعنى(٢).

وانظر إلى جمال هذا التعبير (**من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته**)

" **من** ": اسم يدل على العموم، وهو يعنى كل من كان على هذه الشاكلة يستحق هذا الجزاء.

" **حاجة** ": كلمة بليغة موجزة تشمل الكثير من المعانى، والحديث جعل مساعدة ذى الحاجة أمر عظيم وفى موضع منيف، والعون الذى يقدمه الأخ لأخية المسلم مهما

---

(١) جناس الاشتقاق ملحق بالجناس وهو توافق الكلمتين فى الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق فى أصل المعنى والمراد بالاشتقاق الاشتقاق الأصفر، والجناس يضفى على النص جمالا وحسنا وعلى الأسلوب تلاحما وترابطا لنا بين الكلمتين من المماثلة الشكلية والتى تحدث فى النفس أثرا قويا، انظر أنوار الربيع لابن مقصوم جـ١ صـ ١١٧، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب جـ٢ صـ٦١.

(٢) والجناس المضارع : ما كان الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف نوْعاً متقاربين فى المخرج أو متحدين فيه، فالجناس فى : يظلمه ويسلمه، والاختلاف بين الظاء والسين وهما متقاربان مخرجا فمخرج الظاء : ظهر اللسان مع التصاقه برؤوس الثنايا العليا ومخرج السين : رأس اللسان مع أصول الثنايا العليا بغير التصاق.

بلغ فهو قليل ضئيل، لن يصل إلى قدر العون الذى يقدمه الله ﷻ لعبده، فالحسنة بعشر أمثالها، فالله هو الغنى ونحن الفقراء إليه، وهو القادر عطائه عظيم، وإحسانه عميم.

" **من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه** "

فى الجملة مجاز فى الإسناد، حيث اسند التفريج الى العبد والعبد لا يفرج حقيقة وإنما الذى يفرج الكرب هو الله ﷻ يفرج الكربات ويقيل العثرات، وإنما يكون العبد سبباً فى تفريج كربة أخيه وإقالة عثرته، وبهذه السببية صار كأنه المفرج الحقيقى، وهذا على سبيل المجاز العقلى، و وراءه دعوة إلى التفانى فى تفريج الكربات عن المسلمين، وناهيك عن ثواب مفرج الكربة وأن جزاءه، ليس مجرد ثواب كونه السبب فى التفريج بل يتعاظم حتى يصير كأنه جزاء مفرج حقيقى [1]، وكذلك من ستر مسلماً.

أسند الستر الى العبد والعبد لا يستر وإنما يكون سببا فى الستر ولهذا يحظى من الأجر كأنه ساتر حقيقة، فهو مجاز عقلى علاقته السببية، والستار حقيقة هو الله ﷻ.

وفى الجملة إطلاق يفيد عموم الحكم وشموله.

" **من** " موصولة، والفعل والجار والمجرور صلة الموصول.

جملة " **فرج الله عنه** ": خبر " **من** " الموصولة الواقعة مبتدأ.

ونلاحظ شيوع التنكير فى الحديث مما يفيد العموم مثل :

" **مسلم** ": إطلاق يشمل جميع المسلمين سواء كانوا مطيعين أم عصاة أم فسقه.

" **كربة** ": إطلاق يشمل أى كربة أى الضيق والشدة الذى يضيق على صاحبه الأرض الواسعة.

ونلاحظ فى الحديث الشريف كثرة تكرار الألفاظ التى تفيد تكرار المعنى وتأكيده منها قوله:

" **من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته** ".

" **من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة** "

" **من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** "

---

(١) من بلاغة المجاز العقلى لصحيح البخارى ص ١٥٣

كل هذا يدل على التأكيد لما جاء فى الحديث من معان رائعة، والترغيب فى فعل هذه الأمور.

وتأمل إسناد الفعل فى الجمل الثلاث إلى لفظ الجلالة " الله " وما وراء ذلك من حفاوة الله بهذا العبد المؤمن الذى يعين هذا ويقضى له حاجته، ويفرج كرب هذا، ويستر هذا، ثم يقوم الله ﷻ بقضاء حوائجه، وتفريج كربه، وستره فى الدنيا والآخرة، وهذا أعظم ستر وأفضل جزاء، وهكذا يجب أن يكون المسلم فاعلاً فى المجتمع الذى يعيش فيه له حضور حى وتأثير حى، ولا يقبل الله منه أن يكون غائباً عن الحياة من حوله فعليه أن يساعد، وأن يستر وأن يفرج، وأن يعين ذا الحاجة، وهكذا نجد أبواب الجنة مفتوحة وطرقها ممهدة، ولا يهلك على الله إلا هالك.

يؤخذ من الحديث:

١- المسلم أخ للمسلم تربطهما أخوة الإسلام فله عليه حقوق.
٢- الدعوة إلى معاونة المسلم وستره والعمل على تحقيق العدل، وعدم ظلمه وخذلانه.
٣- الحث على قضاء حوائج المسلمين، وتفريج كرب المكروبين.
٤- الجزاء من جنس العمل.

۞۞۞

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[(١)]. رواه البخارى

وأخرجه مسلم فى رواية **عن جابر بن عبد الله** -رضي الله عنه- **قال: قال رَسُولَ اللَّـهِ** -ﷺ- « **اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ** ».[(٢)]

(١) فتح البارى جـ ٥ ص ١٢٠
(٢) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١٦ ص ١٤٤ .

المعنى:

يوضح الحديث موقف الإسلام من هاتين الآفتين، وما ينطويا عليه من خطر داهم فيحذر النبى –ﷺ– من الظلم موضحاً العلة والسبب فى التحذير منه، وهو أنه يكون يوم القيامة ظلمات لصاحبه تتراكم بعضها على بعض يعاقب الله بها الظالم على ظلمه ولا يقتصر العقاب على الآخره فحسب، بل يُعاقب أيضاً فى الدنيا يخرب الله بيوت الظالمين مهما طال بها الأمد، قال تعالى: **{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**(١)

أما الشح فيعتبر سبباً للظلم فهو الحرص الشديد على المال، وجمعه بشتى الوسائل وعدم صرفه فى وجوه الخير بهذا التصرف يظلم أصحاب الحقوق، ثم يوضح السبب فى التحذير منه بأنه كان سبباً فى إهلاك من كان قبلكم من بنى إسرائيل حملهم أن سفكوا دماءهم بالقتل، واستحلوا ما حرم الله.

فليحذر الناس الظلم والشح أفراداً وجماعات وأمما وشعوباً،وليعلموا أن نهايته إلى الهلاك، فإن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ولنحذر جميعاً دعوة المظلوم فإنها تفتح لها أبواب السماء، قال رسول الله –ﷺ– « **اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ** »(٢).

بلاغة الحديث:

= **اللغة:** " **الظلم** ": ظلمه يظلمه ظلماً وظُلماً وهو مصدر حقيقى، بمنعى الجور ومجاوزة الحد، والميل عن القصد، وهو وضع الشيء فى غير موضعه أو التصرف فى حق الغير دون عدل. لسان العرب مادة ظلم

" **الشح** ": البخل، وقيل: هو البخل مع حرص، وفى الحديث أشد البخل وهو أبلغ فى المنع من البخل، وقيل البخل فى أفراد الأمور وآحادها، والشح عام، وقيل البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف. لسان العرب مادة شح

(١) سورة النمل آية ٥٢

(٢) انظر الإسلام ومكارم الأخلاق ص ٨٨، أدب النبوة جـ ٢ ص ١٤٣، الحديث رواه البخارى.

الحديث الشريف من جوامع كلمه –ﷺ– حيث أنه يتكون من عبارة واحدة لا تتعدى السطر الواحد لكنه يتضمن الكثير من المعانى ففيه إيجاز قصر لقلة اللفظ وكثرة المعنى والبلاغة الإيجاز.

"**الظلم**" (*): اللام فيه للجنس ليشمل الظلم بجميع أنواعه، وجاء معرفاً بأل لإفادة القصر قصر الظلم على كونه ظلمات، وذلك على سبيل المبالغة.

أيضاً تضمن لحديث محسناً بديعياً لفظياً وهو الجناس فى قوله " **الظلم ظلمات** " جناس اشتقاق (١). وهو توافق الكلمتين فى الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق فى أصل المعنى مثل الظلم والظلمة فهما يرجعان إلى معنى واحد وهو الستر فإن الظالم يستر الحق والظلمة تستر المحسوسات.

والمراد بالاشتقاق : الاشتقاق الأصفر.

بلاغة الجناس : يضفى على النص جمالا وحسنا وعلى الأسلوب تلاحما وترابطا وذلك لما بين الكلمتين من المماثلة الشكلية والتى تتحدث فى النفس أثرا قويا.(٢)

جعله ابن معصوم من باب إرسال المثل، وهو عبارة عن أن يأتى الشاعر فى بيت أو بعضه بما يجرى مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به. ومن ألفاظ الحديث النبوى الجارية مجرى المثل " الظلم ظلمات..." (٣)

ولا شك أن الجناس يكسب الكلام جمالاً فى اللفظ وحسناً وبهاء فى المعنى، وقد ورد فى كلامه –ﷺ– عفو الخاطر وفيض الفطره دون تكلف ولا تعمد فقد طلبه المعنى واستدعاه المقام، والحديث الذى معنا من الأحاديث التى تحمل على التأويل.

(*) الظلم أنواع منها ظلم النفس بالشرك، وظلم النفس بتعريضها للعقاب والبلاء بسبب ارتكاب المحرمات، والتفريط فى حق الله، منه ظلم العباد، وهو التفريط أو تضييع الحقوق التى أوجبها الله مثل التفريط فى حق الوالدين والأهل والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم.

(١) سماه الرمانى تجانس المشابهة، وهو أن يجمع بين لفظين يجمعهما أصل لغوى واحد كقوله تعالى {**يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ**} انظر إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٨٣.

(٢) أنوار الربيع لابن معصوم جـ١ صـ١١٧، ومعجم المصطلحات البلاغية جـ٢ صـ ٦١.

(٣) أنوار الربيع جـ ٢ صـ٥٩، ٦١.

" **الظلمات** ":

(١) يجوز أن يكون المراد بالظلمات حقيقتها فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدى يوم القيامة سبيلا فحين يحيط نور الأعمال الصالحة المؤمنين والمؤمنات – كما أخبر القرآن " **نورهم يسعى بين أيديهم** " الحديد ١٢، عندئذ يكون الظالم محاطا بظلمات ظلمه.

(٢) كما يحتمل أن تكون الظلمات كناية عن الشدائد والأهوال التى يلاقيها الظالم يوم القيامة وبه فسر قوله تعالى : {**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**}[١].

(٣) ويحتمل أن المراد بالظلمات هنا : الشدائد أو أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات التى تنزل بالظالم وبلاغة التعبير عنها بالظلمات تكمن فى أنها من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية بتشبيه الشدائد التى تحيط به فلا يستطيع الفكاك منها بالظلمات التى تحيط به فلا يدرى أين المخرج منها، أو بتشبيه الأنكال والعقوبات بالظلمات فى شدة التأثير والحيرة.

وجملة أن الظلم ظلمات "جملة خبرية مؤكدة إن : حرف توكيد ونصب، الظلم اسم إن، وظلمات خبرها، والتوكيد يدل على تثبيت وتقرير هذا المعنى فى النفس، ونكر ظلمات فى مقام التحذير والتهديد للتعظيم أى لعظم الظلمات وخطورتها وجمع ظلمات إفادة العموم والشمول لأن المراد بالظلم الجنس، أو لأن لكل واحد ظلمات لشدة هذه الشنيعة، وترتب على الظلم كل هذا البلاء لأنه مخالفة لله عز وجل فيما يتعلق بحق الناس ، فهو أخذ مال الغير ، بغير حق ولا يقع غالباً إلا بالضعيف الذى لا يقدر على الانتصار لنفسه .

والظلم ينشأ عن ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر فإذا سعى المتقون بنورهم الذى حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغنى عنه ظلمة شيئاً.[٢]

وفى نهى النبى –ﷺ– عن الظلم توجيه إلى العدل فى جميع صوره.[١]

---

(١) سورة الأنعام آية ٦٣

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٥٧١.

وترتب على الظلم كل هذا البلاء لأنه مخالفة وعصيان لله، فيما يتعلق بحق الناس، فهو أخذ مال الغير بغير حق ولا يقع غالبا إلا بالضعيف الذى لا يقدر على الانتصار لعفة أو بالكريم العاقل المتغافل الذى لا يسيغ له كرمه أن يلوث يده بأخذ حق ممن لا يبالى بكرمه. (٢)

" **واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم** "

الجملة تحذير من الشح، وهى جملة مؤكدة بأكثر من مؤكد، وذلك لزيادة التنبيه والتأكيد على هذا الأمر.

ووضع الظاهر موضع الضمير فى قوله " **إن الشح** "وكان من الممكن أن يقال:اتقوا الشح انه أهلك من كان قبلكم،وذلك للتنفير من هذا الخلق الذميم وفى إسناد الإهلاك إلى الشح مجاز عقلى علاقته السببية، فالشح ليس هو الفاعل الحقيقى للإهلاك، وإنما هو سبب فى هلاك بنى إسرائيل هلاكاً جسيماً.

والتعبير بقوله: " **أهلك** " كناية عن صفة ضياع الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة.

حيث أطلق لفظ وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، لفظ "**أهلك**" له معنى حقيقى، وهو الهلاك الجسمانى بسفك الدماء وورود النفس موارد الهلاك، ومعنى كنائى إهلاك القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة،والشحيح لا يكون سخياً فلا يقوم بواجب الضيافة، ولا بحق الجار، ولا بحق الرحم، ولا يغيث الملهوف، فقد ضاعت من قلبه القيم الفاضلة التى يتميز بها الكريم، ولا مانع هنا من إرادة المعنيين معاً لوجودهما فى الشحيح فهو معدوم المروءة والقيم، وهو يورد نفسه موارد الهلاك لحبه للمال وحرصه عليه. (٣)

---

(١) العدل فى العمل كقوله: {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**} سورة النحل (٩٠)، والعدل فى القول كقوله تعالى {**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ**} سورة الأنعام (١٥٢)، والعدل فى الحس والشعور كقوله تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ**} سورة الحجرات (١٢)

(٢) الفائق فى الأخلاق والتربية ملخص فضل الله الصمد فى توضيح الأدب لمعجز المفرد جـ١ صـ٤١٤.

(٣) من أدب النبوة د/ أحمد عمر هاشم بتصرف جـ١ صـ١٢٢.

وسر الترهيب من الشيخ عقيب الترهيب من الظلم لأن الظلم والشح أفعال تتعلق بالحس لا بالنفس والشح يعتبر سبباً للظلم فهو الحرص الشديد على المال وجمعه شتى الطرق والوسائل وعدم إنفاقه فى وجوه الخير المشروعة فيظلم بهذا التصرف أصحاب الحقوق. (١)

وفى نهى النبى -ﷺ- عن الشح توجيه لنا إلى السخاء الذى يصل بصاحبه إلى الفلاح حيث وقاه شح نفسه، قال تعالى: **{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**(٢)

والدكتور / عز الدين السيد – جعل هذا الحديث من نماذج الوزن النفسى والوزن الصوتى فالحديث على جانب من التنغيم النافذ إلى الروح ندركه دائما فى حسن جرسه وتعانق معانيه وتتابع موجاته يدفع بعضها بعضا فى نشاط وتشابه ظاهرة المشاكلة فى الألفاظ لوزن الشعر

اتقوا الظلم فإن الظ لم يوم الدين ظلمة
واتقوا الشح فإن الش ح بين الناس غمة
أهلك الماضين حرصا فاستباحوا كل حرمه(٣)

ويؤخذ من الحديث:

١- التحذير من الظلم والشح.
٢- بيان أن نهاية الظالم أثيمة وعاقبته وخيمة.
٣- الأثر السيئ لهاتين الرذيلتين فى حياة الإنسان وآخرته.

❁❁❁

(١) الإسلام ومكارم الأخلاق صـ٨٩.
(٢) سورة الحشر آية ٩
(٣) انظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

٤- عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِى حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»[1]
رواه البخارى ومسلم

المعنى:

الإسلام دين الأمن والطمأنينة، والاستقرار والسكينة، لا يقر الإرهاب أو الظلم أو الطغيان، ولا يروع الآمنين.

وقد حرم الإسلام العدوان على النفس بغير الحق فقال تعالى: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ}**[2]

وأولى سمات المسلم والمؤمن السلام والأمان.

كما حرم الإسلام إشهار الإنسان سيفه فى وجه أخيه وإن لم يضرب به، وإن الملائكة تلعن من يشير إلى أخيه بحديده يخيفه بها، وإن لم يضربه حتى وإن كان أخيه لأبيه وأمه.

قال ابن العربى: وإذا استحق الذى يشير بحديده اللعن فكيف الذى يصيب بها، وإنما استحق اللعن لأنه كانت إشارته تهديداً سواء أكان جاداً أم لاعباً، و وأوخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع.[3]

بلاغة الحديث:

" **لا يشير** ": نفى بمعنى النهى، لفظه الخبر ومعناه الإنشاء أتى على النفى ومجئ النفى يدل على النهى بل مجئ النفى أبلغ من مجرد النهى كأنه صار حقيقة ماضية أن لا يشير وأن النهى عنه قد تقرر، وإنما ينفى وجوده أصلاً، وهذا كثير فى العدول

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١٦ ص ١٤٦، فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٧، رواه البخارى بالغين ينزغ .

اللغة: ينزغ: يرمى فى يده ويحقق ضربته ورميته، و عند البخارى" ينزغ" بالغين المعجمة، وهو بمعنى الإغراء أى يحمل على تحقيق الضرب به ويزين ذلك.

قال الخليل فى العين: نزغ الشيطان بين القوم نزغاً حمل بعضهم على بعض بالفساد، ومنه قوله تعالى: **{مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}** سورة يوسف آية ١٠٠ ، ونزع بالسهم: رمى به، والمراد أن يغرى بينهم حتى يضرب أحدهما الأخر بسلاحه فيحقق الشيطان ضربته له.

(٢) سورة الإسراء آية ٣٣

(٣) فتح البارى جـ ١٣ ص ٢٧

عن النهى إلى النفى للمبالغة فى النفى[1]، وسبب العدول عن الإنشاء إلى الخبر الحث على سرعة الامتثال.

" **أخيه** " أى أخيه فى الإسلام التى هى أقوى من أخوة النسب.

" **يقع فى حفرة من النار** ": كناية عن وقوعه فى المعصية.

من يفعل هذا لا يقع فى حفرة إنما يقع فى معصية وإثم تفضى به إلى النار، أو تستلزم دخوله النار كناية عن صفة.

يؤخذ من الحديث:

النهى عما يفضى إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققاً سواء كان فى جد أو هزل.

۞۞۞

٥- عَنْ أَبِى مُوسَى الأشعرى -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[2]**. رواه مسلم**

وأخرجه البخارى:

« مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً »[3].

---

(١) اللؤلؤ والمرجان بتصرف صـ٥٧٧.

(٢) صحيح مسلم شرح النووى باب استحباب مجالسة الصالحين جـ ١٦ ص ١٥٣.

اللغة:

" **الكير** ": كير الحداد، وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات، وأما المبنى من الطين فهو الكور، قال ابن سيده: الكير: الزق الذى ينضخ فيه الحداد صفة أكيار وكيره. لسان العرب مادة كير، القاموس المحيط مادة كير جـ ١الفكر .

" **يحذيك** " يعيط من الإحذاء وهو الإعطاء، يقال أحذيت الرجل إذا أعطيته الشيء وأتحفته به.

(٣) عمدة القارئ جـ ١٧ ص ٢٥٥، ويروى مثل جليس الصالح بإضافة الموصوف إلى الصفة.

المعنى:

فى الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، وبيان الضرر من مجالسة أهل الشر وأهل البدع والأخلاق المذمومة ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته.(١)

وفى الحديث معنى قوله -ﷺ- « **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** »

روى عن ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- أنه قال " ما اصطحب اثنان على خير ولا على شر إلا حشرا عليه وقرأ {**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**}(٢)

بلاغة الحديث:

تضمن الحديث تشبيه تمثيلى وجه الشبه مفرد عقلى حيث مثل الرسول -ﷺ- الجليس الصالح صاحب الأخلاق النبيلة والأفعال الحميدة ببائع المسك الكريم الذى لا يعدم جليسه من فائدة، وقد سلك الحديث طريق المقابلة، ولهذا قيمته البلاغية العظمى، ولا شك أن المقابلة أكثر حظاً من الفنون البديعية الأخرى ومن كل فنون البيان، وذلك لشيوعها وكثرتها فى كلام الله (*)، وسنة رسوله فلا أعرف فناً بلاغياً يشيع فى الكتاب والسنة كما يشيع هذا الفن، وليس الغرض من المجئ بها وضع الشيء فى مواجهة ما يقابله فقط إنما هى فن يدعونا إلى دراسة النقيضين أو المتقابلين حتى تفضى بنا هذه الدراسة إلى مزيد من العناية والاهتمام والنظر بدقة والإمعان والاقتناع بالطرف الذى جاء الكلام ليحثنا عليه والمقابلة هنا بين طرفين الطرف الأول: الجليس الصالح حامل المسك والرائحة الطيبة، والطرف الثانى: الجليس السوء نافخ الكير

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١٦ ص ١٥٣.

(٢) سورة التكوير الآية ٧.

(*) وردت المقابلة كثراً فى القرآن الكريم بجانب الدنيا نجد الآخرة، والحياة والموت، والليل والنهار، وجزاء الأبرار ووجودهم فى النعيم وجزاء الفجار ووجودهم فى الجحيم.

والرائحة الخبيثة فالجليس الصالح وما يترتب على مجالسته من نفع فى مقابلة الجليس السوء وما يترتب على مجالسته من ضر.[1]

مقابلة بين نموذجين من نماذج السلوك خير اختار لنفسه الخير فى مجالسة الصالحين، والآخر سيء وهى مجالسة نافخ الكير أهل السوء والبدع ، كما تضمن الحديث طباق خفى بين الصالح والسوء والطباق المقابلة من وادى تداعى المعانى حين تنتقل النفس من النقيض إلى النقيض تتضح المعانى وتتمكن فى النفس بغير تمكن لأنها تقرن بأضدادها.

وإضافة السوء إلى الجليس للدلالة على أنه نفس السوء .

ووجه الشبه النفع فى كل منهما، كما مثل الجليس السوء " السيئ الأخلاق الردئ الأعمال بنافخ الكير وهو الرجل الذى يتعامل مع النار فى يأمن حتى على نفسه منها فما بالك بجليسه، كيف يأمن من شرها ؟ وجه الشبه الضر فى كل منهما، والمشبه به معرفة جاءت بعده جملة مستأنفة توضحه، وهو تمثيل صحيح فيه توضيح للمعانى وتقريب للأفهام بإظهار المعنوى فى صورة محسوسة، ولا شك أن لهذا الجانب التمثيلى عظيم الأثر فى الإفصاح عن المعنى المراد من خلال من خلال الواقع المحسوس الذى يسلك بالكلام سبيله نحو القلوب فتتسرب إليها الرغبة أو الرهبة فى المجالسة، والتشبيه فى الحديث تمثيل عند الإمام عبدالقاهر لأن وجه الشبه فيه مفرد عقلى وغير تمثيلى عند الخطيب والجمهور لأنهم اشترطوا فى التمثيل أن يكون وجه الشبه مركبا أيضاً فى الحديث مجاز مرسل على القول بأن الكير حقيقته البناء الذى يركب عليه الزق، والزق هو الذى ينفخ فيه فأطلق على الزق اسم الكير مجازا مرسلاً علاقته المجاورة لمجاورته إياه.

والحديث من البدائع فقد استمل على عدة فنون بديعية معنوية.

كما تضمن الحديث لونا بديعيا آخر وهو حسن التقسيم فقد استوفى أقسام الشيء دون أن يترك منها شيئاً، فحامل المسك على حال من ثلاث لا رابع لها إما أن يحذيك أى يهديك يعطيك عطية أو هدية، أو يشترى منه أو تشم

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى بتصرف.

منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك او تشتم منه رائحة خبيثة هذان لا ثالث لهما ، والتعبير بقوله : نافخ الكير تدل على أن كلامه لا يتعدى النفخ فلا قيمة له ولا فائدة .

ففيه فن آخر وهو: اللف والنشر حيث ذكر المتعدد على جهة التفضيل فجمع بين الجليس الصالح والجليس السوء، ولف بينهما ثم ذكر ما لكل على سبيل النشر المرتب ثم عقب بتفصيل خصائص مل منهما.

فالأول من المتعدد فى النشر يعود إلى الأول من المتعدد فى اللف، والثانى للثانى، فحامل المسك يرجع إلى الجليس الصالح ونافخ الكير يرجع إلى الجليس السوء على سبيل اللف والنشر المفصل المرتب والغرض منه بيان فضل مجالسة الصالحين وأهل الفضل والخير، وضرر مجالسة أهل السوء ولا شك أن هذا الأسلوب يهيئ النفس ويثير الانتباه لتلقى الفائدة فإذا ذكرت تم الغرض واستقام المراد .

فالحديث قائم على جانب من التنغيم النافذ إلى الروح ندركه دائماً فى حسن جرسه وتعانق وتتابع موجاته يدفع بعضها بعضا فى نشاط وتشابه .

ظاهرة المشاكلة فى الألفاظ لوزن الشعر

" مثل الجليس الصالح كامل المسك " الأرج

" يحيك أو تبتاع منه شفاءهم ينفرج [1]

❁❁❁

٦- حَدَّيثَ أَنَسٍ بن مالك -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ «وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّى أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ « إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ »[2].

يروى انس قصه هذا الرجل بقوله: بينما أنا والنبى -ﷺ- خارجين من المسجد فلقينا رجل عند سدة (*) المسجد فقال: يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال رسول الله -ﷺ- ما

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب باب علامة حب الله ورسوله، فتح البارى جـ ١٠ ص٦٣٦.

(*) سدة المسجد: باب المسجد. الساعة: معناها القيامة ويدخل فيها أجل كل ذى أجل، لأن من مات فقد قامت قيامته.

أعددت لها ؟ فكأن الرجل استكان فقال: يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت. (١)

المراد بالساعة المسئول عنها فى الحديث ساعة الدنيا حين ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فإذا بالخلق قيام ينظرون، وتشرق الأرض بنور ربها ويوضع الكتاب ويؤتى النبيين والشهداء. وكان الرسول –ﷺ– يسمع هذا السؤال كثيراً وقد ذكر القرآن شيئاً من هذا فى مثل قوله: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}**(٢)

وقوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ}**(٣)

وغير ذلك كثير والسؤال عن الساعة يستدعى صورة القيامة وأهوالها " قائمة " بالنصب على الحال تقديره متى وقعت الساعة حال كونها قائمة والرفع على أنه خبر الساعة ومتى ظرف متعلق به (٤).

ولنتأمل آداب السائل فى سؤاله حيث قدم له بالنداء تأدباً وتلطفاً وإظهار للعناية، ثم ينادى بالياء دون غيرها من أدوات النداء وهى المؤذنة بالبعد بين مكانة السائل والمسئول ثم دعاؤه عليه السلام بالرسالة فى قوله: يا رسول الله، وفيه إعظام له عليه السلام وإجلال وبيان لمحله من ربه ثم هو إشارة إلى أنى أسألك عن نبأ هذا الأمر عند ربك الذى أرسلك وجعلك رسولاً، ثم يجيب الرسول –ﷺ– إجابة يعرف الرجل فيها إلى ما هو أهم فيقول: ما أعددت لها ؟

وهى كلمة موجزة جداً، ومعبرة جداً، فقد سلك مع هذا السائل مسلك الأسلوب(*) الحكيم؛ لأنه سأله عن وقت الساعة وأيان مرساها فقيل له: فيم أنت من ذكراها؟ أى

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١٦ ص ١٦٠.
(٢) سورة النازعات آيات ٤٢– ٤٥.
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٧.
(٤) عمدة القارئ للبدرى العينى جـ١٧ صـ٢٤٥ .
(*) الأسلوب الحكيم صورة من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو يدل على قوة ذكاء المتكلم وحُسن تخلصه وقد وقع كثيراً فى القرآن الكريم لمكانته البلاغية وتأثره فى المخاطب وهو على قسمين : (١) تلقى المخاطب بغير ما يترتب = =يحمل

ما أعددت لها، فتلقى السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه الأولى بحاله، والأجدر بسؤاله يعنى إنما يهمك أن تهتم بأهبتها، وتعتنى بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة المرضية.

ومقصوده من ذلك كف السائلين من السامعين وغيرهم عن السؤال عن وقت الساعة؛ لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما سبق أن ذكر. (١)

وهكذا يجيب النبى ﷺ هذا الرجل إجابة غير متوقعة، وكان ﷺ حرصاً على مخاطبة كل شخص على قدر حاله، وأن تكون ألفاظه ملائمة لمعاينة وأغراض حتى يبلغ كلامه –ﷺ– مكانه من قلوب السامعين فيكون له أثره فى النفوس، فيقول مجيباً هذا الرجل ما أعددت لها ؟

ويجب جبريل فى سؤاله عن الساعة بقوله: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ومعناه أن المسؤول كالسائل فى عدم العلم بها سواء.

يقول انس –رضي الله عنه– كأن الرجل استكان، وهو تعبير دقيق جداً يصف ما يعترى الإنسان حين يسأل هذا السؤال وهو يرى تقصيره وعجزه وتفريطه ثم يرجع الرجل إلى نفسه فيجد فى هذه النفس معنى حلواً جميلاً طيباً فيقول: ما أعددت لها كثير نافلة من صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنى أحب الله ورسوله، هذه هى حلاوة الإيمان، وهذا الرجل ذاق حلاوة الإيمان، حيث لم يكن فى قلبه شيء يشغله عن حب الله ورسوله، فكأن حب الله ورسوله هو الملك المصرف والسلطان المهيمن على قلب هذا الرجل،

كلامه على خلاف مراده ففيها له على أن ذلك الأولى بقصده . (٢) إجابة السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله والأجدر بسؤال منه هذا الحديث منه قوله تعالى: {**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**} فقد سألوا عن بيان ماذا ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف أى الجهات التى يجب أن تتجه إليها نفقتهم تبينها لهم على أنه الأهم؛ لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع فى موقعها وتعطى لمن يستحقها، ولا شك أن هذا الأسلوب فيه إرشاد للمخاطب أو السائل إلى ما هو أليق بطريقة مهذبة وهذا مسلك الحكماء فى محاورتهم للناس. بغية الإيضاح جـ١ صـ١٦٠.

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى صـ٢٣١ .

وهو ضرب خاص من الحب فهو إتباع وكلما زاد الإتباع زاد الحب، وما زال العبد يحب ربه حتى يحبه، وحب الله لعبده معراج الجنة، وهى الغاية التى نسعى إليها.

هذه نفس أسكن الله فيها حبه وحب رسوله بالطاعة لهما فحق لها أن تهنأ وتطمئن، ثم يجيب الرسول –ﷺ– إجابة هى أسنى وأسرى وأوقع وأكرم وأذهب للخوف وأدعى للقرار والمسرة فيقول: أنت مع من أحببت، وهى عبارة غاية فى الإيجاز وإدخال الأنس على هذه النفس التى ذكرت بتقصيرها فانكسرت واستكانت. (١)

ويعبر –ﷺ– بالاسم الموصول بدلاً من الاسم الظاهر فلم يقل أنت مع الله ورسوله،وإنما قال: أنت مع من أحببت. أى ملحق بهم وداخل فى زمرتهم، والمعية هنا تعنى عناية ورعاية وخصوصية وتدل على أن من أهل الجنة والمعية لا تقتضى عدم التفاوت فى الدرجات (٢).

وجواب النبى –ﷺ– عن هذا السؤال يتطابق مع ما جاء فى سورة النازعات **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}**(٣)

سؤال عن الزمان، مثل: متى الساعة ؟

مرساها: المكان الذى ترسوا فيه وتقيم وتنتهى رحلتها كأنها سفينة تقطع الوجود وتنتهى إلى مرساها.

والجواب: فيم أنت من ذكراها.

أى ليس لك علم بمعرفتها، لأنها مما أختص الله به، فهى من الغيب الذى لا يطلع عليه أحد، فعلمها راجع إلى الله لا إلى غيره، ولذا قال إلى ربك منتهاها، لذلك نجد آيات علم الساعة لا ترد غالباً إلا بأسلوب القصر والاختصاص، وقد جاءت بكل طرقه. قال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}**(٤)، وقوله: **{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}**(١)،

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى د/ محمد أبو موسى ص ٢٣١.
(٢) انظر عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للبدر العينى بتصرف جـ١٧ صـ٢٤٦ .
(٣) سورة النازعات آيات ٤٢– ٤٥.
(٤) سورة لقمان آية ٣٤.

وقوله {**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ**}(٢)، وقوله {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ**}(٣)، وقوله {**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**}(٤) أى دورك وعملك فى هذا الشأن يقتصر على أن تبلغ وتنذر من يخشاها وليس لك من الأمر شيء.

فعليك أن تقول مثل قولك للرجل الذى سألك عند سدة المسجد " ما أعددت لها ؟ (٥)

ونكتفى بهذا القدر من أدب الحديث النبوى الشريف سائلة المولى ﷻ أن يجعله عملا متقبلا وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات وان يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولْئك هم أولو الألباب.

۞۞۞

(١) سورة فصلت آية ٤٧.
(٢) سورة الأحزاب آية ٦٣.
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٧.
(٤) سورة النازعات آية ٤٥.
(٥) انظر شرح أحاديث من صحيح البخارى بتصرف ص ٢٣٢.

الخاتمة

بعد هذه الإلمامة السريعة فى هذا البحث المتواضع حول دراسة وتحليل لبعض من أحاديث رسول الله -ﷺ- فى كتاب الأدب مما اتفق عليه الشيخان نستطيع أن نستخلص عدة حقائق من أهمها:-

١- أن رسول الله -ﷺ- له ضروب الفصاحة فقد خرج كلامه عن قريحة واعية، ووحى صادق وإلهام صائب فضرب أروع مثل فى الفصاحة والبيان.

٢- اتسمت هذه الأحاديث فى مجملها بالإيجاز فقد تضمنت من جوامع كلمه -ﷺ- أروع الأمثال، وأبدع التصويرات والتشبيهات وأرقى البدائع مع عمق المعنى وسلامة التعبير وهذا لغرض الإيضاح والبيان وبث المقاصد السامية فى النفوس.

٣- تعددت وتنوعت ضروب التوكيد فى الأحاديث المذكورة وفقاً لما اقتضاه المقام واستدعاه الحال بين وسيلة توكيد فعليه كتشبيك أصابعه -ﷺ- أو ضروب التوكيد اللفظية التى وضعتها اللغة كإن، وأن، والقسم، ونون التوكيد، والشرط، وغيرها.

٤- هذا إلى جانب ما تفيده الأساليب الأخرى من تقرير وتأكيد كالفصل والوصل، والقصر، والتكرار، والمقابلة، والتشبيهات والمجازات وغير ذلك مما ورد ذكره فى البحث. كل هذه تفيد أنواعاً من التوكيد والمبالغة فى تثبيت المعنى أو نفيه.

٥- كما تضمنت هذه الأحاديث العديد من المسائل البلاغية المتنوعة فى المعانى، والبيان، والبديع.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

١) أثر التشبيه فى تصوير المعنى د/ عبد البارى طه سعيد.
٢) الأدب النبوى للمرحوم محمد عبد العزيز الخولى.
٣) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى.
٤) الإسلام ومكارم الأخلاق د/ أحمد عمر هاشم.
٥) إعجاز القرآن للرمانى ، ضمن ثلاث رسائل .
٦) الإعجاز فى البيان النبوى د/ عبد الباسط حمودة
٧) أنوار الربيع لابن معصوم .
٨) بغية الإيضاح للشيخ عبدالمتعال الصعيدى .
٩) بلاغة الأمر والنهى فى البيان النبوى لـ د/ إسماعيل محمد الأنور .
١٠) بلاغة ضروب التوكيد فى أحاديث الترغيب والترهيب–د/رجب محمد سالم– مجلة كلية اللغة العربية– ايتاى البارود العدد الحادى والعشرون.
١١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د/ محمد أبو موسى.
١٢) الترغيب والترهيب للمنذرى .
١٣) التصوير الفنى فى الحديث د / محمد الصباغ.
١٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى.
١٥) تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول لأبى الربيع الزبيدى.
١٦) جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى.
١٧) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية د/ عز الدين السيد.
١٨) دراسة بلاغية فى القرآن والحديث – د/ عبدالفتاح لاشين .
١٩) روائع البيان فى الأمثال النبوية.د/محمد السيد حسن.
٢٠) روح معانى – للألوسى .
٢١) الرسول –ﷺ– واعظاً وبليغاً د/ عبد القادر حسين.
٢٢) سنن الترمذى.
٢٣) شرح أحاديث من صحيح البخارى د/ محمد أبو موسى

٢٤) شرح الأربعين النووية للإمام النووى وآخرين.
٢٥) شروح التلخيص .
٢٦) صحيح البخارى للإمام البخارى.
٢٧) صحيح مسلم شرح النووى ت/ صدقى محمد جميل العطار
٢٨) صور من البيان القرآنى والنبوى د/ فتحى فريد
٢٩) عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للإمام بدر الدين العينى.
٣٠) الفائق فى الأخلاق والتربية لتوضيح الأدب المفرد .
٣١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر.
٣٢) فى رحاب الهدى النبوى د / حسن أحمد الكبير.
٣٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى.
٣٤) لباب المعانى – د/ حسن شرشر .
٣٥) لسان العرب لابن منظور.
٣٦) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقى
٣٧) معانى الحروف للرمانى .
٣٨) معجم المصطلحات البلاغية – د/ أحمد مطلوب .
٣٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٤٠) مغنى اللبيب لابن هشام.
٤١) من أدب النبوة د/أحمد عمر هاشم
٤٢) من بلاغة السنة د / محمد بيلو أبو بكر
٤٣) من بلاغة المجاز العقلى د/أحمد محمود سعيد
٤٤) من روائع البيان النبوى د / فريد النكلاوى.
٤٥) من هدى السنة د/احمد عمر هاشم
٤٦) موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى د/أحمد شوقى إبراهيم.
٤٧) وصايا الرسول وأثرها فى تقويم الفرد وإصلاح المجتمع د/ محمد بكر إسماعيل.